وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب اللغات

قسم اللغة الأدب العربي

تجليات الواقعية في الرواية المغربية

رواية "الشطار" لمحمد شكري- أنموذجا-

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين

- دنيا بوشان
- فاطمة الزهراء بلهال

إشراف الأستاذة:

د. عقال فاطمة الزهراء

السنة الجامعية:1443-1444هـ/ 2022-2023م

الشكر و التقدير

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه

أحمد الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام عملنا هذا و وصولنا لهذا اليوم، الحمد لله الذي أهلنا الصحة و العافية نتقدم بالشكر و التقدير إلى الأساتذة الفاضلة " عقال فاطمة الزهراء " على توجيهاتها و معلوماتها القيمة التي ساهمتا في إثراء موضوعنا البحثي هذا من جوانبه المختلفة، كما نشكر أعضاء اللجنة المناقشة دون أن ننسى الأساتذة الذين درسوني في مشواري الجامعي

و في الأخير إن وفق هذا العمل و حوى في طياته على إيجابيات و نجاح فهو منسوب إلى جميع من ساعدنا عن بعد أو قرب.

الإهداء

إلى من كانت لي سندا و عونا عند الشدائد طيلة عمري إلى الحبية التي رافقتني بروحها، إلى التي وضعت أسس بنياني المعرفي إلى أمي الحبيبة حفظها الله و أعزها و أطال عمرها أرجو أن أكون قد بلغت رضاك

إلى الرجل العظيم الذي اقتدي به طوال عمري أبي الغالي رحمه الله في قبره اللهم و أجعل قبره روضة من رياض الجنة أسكنك الله فسيح جنانه

إلى أبي الثاني الذي لم يتركني يوما و لم يشعرنا يوما بعدم النقصان و الدفء و الحنان إلى أحن قلب على إخوته أخي "عبدو"

إلى كل العائلة الفاضلة الكريمة و كل من يحبني بصدق أهدي ثمرة نجاحي هذه

دنيا

الإهداء

أهدي هذا العمل لكل من أحبهم ويتوق القلب لنخاطب من شذى بذكرهما اللسان.

إلى أبي الغالي الذي رحل عنا رحمه الله.

إلى أمي العزيزة التي أتمنى لها طول العمر.

إلى أساتذتي الكرام من الإبتدائي إلى الجامعة، أهدي هذا الإهداء البسيط والمتواضع في مذكرتي، وأعبر عن امتناني العميق وتقديري لكم جميعا.

إلى إخوتي الكرام إناثا وذكرانا، كم تعبتم معي وكم أتعبتكم فلكم جزيل الحب والشكر.

إلى براعم البيت التي تزيد بهم الحياة رونقا وبهاءا، أبناء الإخوة والأخوات.

باختصار، فأنتم جميعا جزء لا يتجزأ من نجاحي وتحقيقي في هذه المذكرة أريد أن أعلمكم أنني ممتنة لكم جميعا أدعوا الله أن يجزيكم خيرا ويحقق لكم السعادة والتوفيق.

فاطمة الزهراء

مقدمة

مقدمة:

الرواية من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على التراث وعلى المرجعيات الثقافية المختلفة وذلك لطبيعتها الحوارية التي تجعلها قابلة الاحتواء، بسجلات متعددة وخطابات متخللة وأجناس أدبية وغير أدبية مما جعلها فضاءا قابلا لامتصاص مشارب معرفية وثقافيى متعددة ومتنوعة، فقد ارتبط هذا الجنس الأدبي السردي منذ نشأته بمبدأ التنوع راسما عالمه الخيالي من مرجعيات ثقافية للمجتمع الذي نشأ فيه والذي يتخذه الروائي منطلقا يعبر عن رهانات ورؤى جديدة.

عرفت الواقعية حركة في الأدب، بدأت في القرن 19 عشر مطلع القرن العشرين، فالواقعية برزت بنوع جديد في الكتابة الأدبية حيث يقوم المؤلف بتمثيل الواقع ونقله بصورة حقيقية، تهدف أعمالها لتجسيد الحقيقة وتقديمها بصورة دقيقة من الواقع للقارئ.

لقد عرفت الرواية الواقعية رواجا كبيرا بين الأدباء والكتاب لما عالجته من قضايا اجتماعية مثلت الواقع الإنساني المعيسي ونقلته بصورة عفوية دون تزييف، فكانت كل اهتماماتها الإنسان والأخلاق وصراعه مع واقعه، ومحيطه خصوصا في الأدب العربي عامة والأدب المغربي خاصة.

وقد اهتمت الرواية المغاربية بالمذهب الواقعي وغاصت في أعماقه مما جعل أدبائها يهتمون في نتاج رواياتهم لهذا المذهب ومن أبرز أدبائها " محمد شكري " فهو من أهم وأبرز الروائيين المغاربة الذين عايشوا هذا الواقع ورسموه وأبدعوا فيه وقدموا صورة حقيقية دقيقة له، كما أبدع هذا الأخير في نقل الحقائق الاجتماعية خاصة في عمله رواية " الشطار ".

ويعود السبب في اختيارنا لهذا الموضوع لدافعين أولهما ذاتي وهو الرغبة والميل إلى الجنس للرواية، وخاصة المغاربية منها يتمثل في قلة ونقص الدراسات التي تناولت الرواية وثانيهما هو توقنا إلى معرفة واقع الإنسان والمجتمع المغاربي من خلال الرواية.

لذلك جاء اختيارنا لها فجاء عنوان دراستنا: " تجليات الواقعية في الرواية المغربية " رواية الشطار " أنموذجا، وللخوض فيها جاءت إشكالية الدراسة فطرحنا الإشكالية التالية:

- كيف تجلت الواقعية في الرواية المغربية؟
- وما الصورة التي قدمها محمد شكري في الرواية؟ وكيف نقل هذا الواقع من خلال أعماله؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا خطة بحثنا إلى فصلين:

يتكون البحث من مقدمة ومدخل تضمن الرواية المغربية مراحلها في الرواية الأدبية العربية الحديثة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول (نظري): موسوم بالواقعية في الرواية المغربية جاء في ثلاثة مباحث أولهما نشأة الرواية في المغرب والثاني الواقعية في الرواية المغاربية والأخير ظهور الواقعية في الرواية العربية، أما **الفصل الثاني (تطبيقي):** تحدثنا عن تجليات الواقعية في رواية " الشطار " لمحمد شكري أنموذجا وهذا الفصل اشتمل على ثلاثة مباحث الأول الواقع الاجتماعي والثقافي والديني والثاني تناولنا فيه الواقع السياسي والاقتصادي في الرواية، أما الأخير فجاء ضمن تحليل الشخصيات في الرواية.

أما الملاحق فقد خصصناها لرواية الشطار وإعطاء لمحة عن الكاتب وملخص للرواية وخاتمة توجت البحث وكانت فاصلة لما جاء في المتن.

وقد جاء اختبارنا لهذا المنهج الذي خدمنا ما كنا نصبو له وهو المنهج الوصفي والمنهج التحليلي اللذان يخدمان البحث بكونهما القادران على كشف المفاهيم والمصطلحات المكتسبة في مفهوم الواقعية.

أثناء بحثنا وجدنا عدة دراسات تناولت هذا الموضوع مثل: الواقعية الاجتماعية في الأدب المغربي رواية محاولة عيش ل " محمد زفزاف "، واعتمدنا أثناء دراستنا على عدة مراجع من بينها الواقعية في الرواية بين الثقافة والحضارة، الرواية المغاربية ليونس فقيه.

وكأي بحث لقد واجهتنا صعوبات تمثلت في قلة المراجع في مكتبة الجامعة وجل المراجع كانت إلكترونية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا التوجه بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان للأستاذة المحترمة عقال فاطمة الزهراء التي كانت نعم الأستاذة والمرشدة والمعينة في توجيه خطوات هذا البحث وتقويمه فجزاها الله خيرا.

فإن وفق هذا العمل فمن الله عز وجل نحمده ونستعينه في الأول والأخير.

مدخل

مدخل :

لقد تعدد الآراء في ظهور الرواية في الأدب العربي الحديث و لكن هناك من أكد أن ظهورها و بروزها كان في مطلع القرن العشرين " 20" حيث أصبحت منتشرة انتشارا واسعا سبب إقبال الروائيين عليها كثيرا إذ أن أغراضها و أنواعها في هذا الميدان تعدد بشكل كبير بلا منازع الرواية: " هي نص نثري تخيلي سردي واقعي غالبا يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم و هي تمثيل للحياة و التجربة و اكتساب المعرفة "[1] فهي سلسلة من الأحداث تسرد بشكل نثري طويل يضيف شخصيات خيالية أو واقعية و أحداث معينة جرت تكون على شكل قصة متسلسلة إذ أنها تمتاز عن الأجناس الأدبية الأخرى من حيث الحجم و تعدد الشخصيات و تنوع الأحداث فهي أحد الفنون الأدبية الجميلة يستطيع الكاتب من خلالها أن يصل برسالته و توجيهاته إلى الغير فهي إبداع لساني بلاغي مدهش . وهي : " شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض عن جملة من الأشكال و الأصول كاللغة و الشخصيات و الزمان و المكان و الحدث يربط بينها طائفة في التقنيات كالسرد و الوصف و الحبكة و الصراع لتصل إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية و عناية شديدة " [2] فالرواية امتازت عن باقي الأجناس الأدبية في عدة عناصر مثل : اللغة و هي الأساس ، الشخصيات و قد تكون حقيقية أو خيالية و حدث القصة الذي تدور حوله الرواية فالرواية تعتمد على السرد السلسلي في القس لتنتهي بعبرة في الأخير ، كما أنه يوجد أنواع كثيرة فيها تختلف في واحدة إلى أخرى من حيث الصنف و الشكل فأنواعها : اجتماعية ، تاريخية ، سياسية و كذا واقعية ، فالرواية المغربية حيث لها أنها لا تتعدى العقدين من الزمن فالمؤكد أن ظهور الرواية العربية بالمغرب عرف تأخرا ملحوظا مقارنة بتاريخي ظهورها في الشرق و الغرب و هو ما يعني بعبارة أخرى أنه تأخر مضاعف جعل في الأعمال الروائية الشرقية و الغربية

[1] معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص 99

[2] في نظرية الرواية ، ص 23

نماذج تحدثي أما بالنسبة للرواية المغربية تبدو الورطة أكبر ما دامت تمثل العطب المزدوج عطبها الخاص المتعلق بنشأتها و عطب تقليدها للرواية المشرقية التي قلدت بدورها رواية الغرب المبدع الحقيقي بلا منازع للرواية العصرية ، ما دام وزنها ينحصر في تفسير الشأن المحلي القطري و لا يتعداه لتقديم تبرير موضوعي مقنع يزيح الستار عن سر تأخر ظهورها ، الرواية العربية ككل مقارنة بالرواية الغربية و أدى بالتالي لاعتبار الكتابة الروائية كالدرامية جنسا إبداعيا دخيلا و مستحدثا في المؤسسة الأدبية العربية و كان سبب تأخر الرواية المغربية هو الخلط علة مفهوم الرواية عندهم و ذلك لعدم معرفتهم لها و لم يقبل الكتاب عليها فقد خلطوا بينها و بين الأجناس الأخرى كالمقامات و القسس القصيرة و المقالات و غيرها فكانت أبعد ما تكون الشكل الروائي الذي عرفه النقاد فقد مرت الرواية المغربية الحديثة بثلاث مراحل " المرحلة الأولى سنة 1905–1939 امتازت هذه المرحلة بأن الرواية المغربية لم تكن مكتملة فنيا

المرحلة الثانية 1940 – 1950 هذه المرحلة تأثرت الرواية المغربية بالثقافة و الآداب الغربية و كثيرا من المثقفين في هذه المرحلة توقفوا عن الإبداع بسبب الاستعمار .

المرحلة الثالثة شهدت نضجا و ازدهارا كبيرا [1] .

فكان لكل من هاته المراحل تغيرات و امتيازات بها فالمرحلة الأولى امتازت بعدم اكتمالها الفني ، أما المرحلة الثانية كانت ذات تأثير بالرواية الغربية ثقافة و كانت الرواية سبب الاستعمار و القضايا الاستعمارية ، أما المرحلة الأخيرة شهدت نضجا و ازدهارا كبيرة بين الأدباء فكانت عبارة عن رسائل من مجتمعنا و وقائعه و لا زالت متواصلة أحد اليوم ، ولقد كان للرواية المغربية نصيب في نتاج روائيها كما أنهم قدموا رؤية عن الواقع و أبدعوا

[1] الواقعية في الرواية بين الثقافة و الحضارة ، الرواية المغاربية و الفهم القومي ، يونس فقيه ، دار الفرابي ، بيروت لبنان ، ص 374

في تصويره إن الرواية المغربية تحظى برؤية عميقة مختلفة حو الواقع تسعى لأجل التعبير ، فمصطلح الواقعية منذ ظهوره أبدى الغموض فهو مصطلح فضفاض أما الفلاسفة يرون هذا المصطبح عكس المثالية و هي ليست مجرد أفكار " و بهذا اعتبرت الفلسفة الواقع وجود الشيء كمقابل لعدم وجوده و كمقابل للأشكال الأخرى الممكنة الوجود "[1] إذ أن المذهب الواقعي يهدف إلى نقل الواقع الحقيقي دون تخيل و تزييف لذلك قيل " الواقعية هي مدرسة الإخلاص في الفن "[2] إذ يسعى الأديب إلى فهم الواقع و نقله و تجريده كما هو أي أنه يكون شخص واقعي لا ينظر إلى الأشياء المثالية لهذا الواقعية تتطلب شروط في الأديب و أدبه أنه يستوعب واقعه و يكشف عن جوهره و يزيح ما حجب عنه أي الكشف عن المكبوت هذا ما يجعله ابن واقعه و أنه ارتبط بالواقعية وحافظ عليها كأديب ، حيث يبحث أدبه عن الواقع و الدفاع عن الكرامة الإنسانية التي طالتها يد الفساد الاقتصادي و الأخلاقي لأن الأدب و الأديب الروائي هما الوحيدان اللذان يطمحا لإجلاء الحقيقة و الفهم على الحياة المعيشية و فك شفرات المجتمع بحيث يلجأ إلى تغيير الواقع مما يجعل الأدب يسمو إلى الأعلى فالواقعية هي اتجاه أدبي يلتزم بقضايا الواقع . لهذا الرواية المغربية المعاصرة تعد منصب اهتمام البحث في الحقيقة ، إن عبد المجيد بن جلون بتملكه ناصية الفن القصصي و إمساكه بزمامه فإنه يعد الروائي الأول في الأدب المغربي الحديث و يمكن القول أن الرواية المغربية في أواخر الستينات في القرن الماضي قد بدأت تفر من نفسها و تنتشر انتشارا واسعا في الحركة الأدبية و لعبت دورا كبيرا في التعبير عن هموم و مشاكل الثقافة الاجتماعية و بعبارة أخرى استطاعت أن تجسد الواقع المغربي في عهد الاستقلال و بعد الاستقلال و رغم هذه المهمة الإيجابية التي أنجزتها الرواية المغربية أي أنها لم تسرد دائما في نفس السياق على اعتبار أن هناك بعض الروايات لم تكن مخلصة للواقع و حقائقه الموضوعية بل كانت مخلصة لنوايا مؤلفيها و نزواتهم الذاتية كما أن الرواية المغربية عبرت

[1] نفس المرجع السابق ، ص 242

[2] نفس المرجع السابق ، ص 244

عن طبقة اجتماعية متميزة و هي الطبقة البورجوازية إذ أنها هبرت عن تصوراتها و جسدت أفكارها عن تصوراتها و جسدت أفكارها و آراءها و هذا ما دفع النقاد إلى الربط بين البورجوازية و نشأة الرواية فقد عدوا الرواية نوعا أدبيا نشأ أساسا للتعبير عن وعي هذه الطبقة .

الفصل الأول:
الرواية المغربية

المبحث الأول: نشأة الرواية في المغرب.

إذا كانت القصة القصيرة تصدرت الأجناس الأدبية المعروفة فإن الرواية على العكس من ذلك تظل جنسًا أدبيًا طري المراس، غير خاضع لوتيرة منتظمة في تطوره، وبالنسبة للرواية المغربية تبدو الورطة أكبر مادامت تمثل العطب المزدوج، عطبها الخاص المتعلق بنشأتها، وعطب تقليدها للرواية المشرقية التي قادت بدورها رواية الغرب <<فالرواية المغربية المكتوبة بالعربية، كما هو معروف حديثة النشأة في الأدب الغربي والعربي الحديث شأنها في ذلك شأن مثيلتها المكتوبة بالفرنسية>>[1]، وقد ساهمت مجموعة من التحولات التي طبعت فترة الأربعينيات والمزامنة لنهاية العربية العالمية الثانية في خلق جانب من شروط ظهور الرواية المغربية <<هذه الوضعية إذن جعلت الرواية المغربية المكتوبة بالعربية خصوصًا وإلى حدود بداية العقد السبعيني من القرن الماضي لم تحقق سوى تراكم نصي وروائي وسير ذاتي، قليل جدًا، بما هو متراكم بتفاوت مستواه الفني وقيمه الإبداعية، وموضوعاته المطروقة من نص للآخر، وأحيانًا من عقد لآخر أيضًا، كما تتفاوت مستويات تمثل نصوصه للمناخ العام السائد آنذاك>>[2]. فقد شهدت الثمانينات وقبلها السبعينات إلى حدٍّ ما، في مجالي القصة والرواية تراكمًا كميًا لا ينكر، وليس بدون دلالة هذا التراكم استتبع اتساع الإقبال عليهما، والاهتمام بهما قراءة ونقدًا في مستوى الملتقيات الثقافية والأدبية وفي مستوى الدراسة والبحث الجامعيين وعدا اللذين لم ينشروا قبل الثمانينات، ودشنوا حياتهم التأليفية بالرواية هناك الادباء الذين انتقلوا من كتابة المسرح أو القصد والنقد إلى كتابة الرواية <<ويمكن إرجاع أسباب تلك الندرة في التراكم النصي الروائي والسيرة من خلال تلك

[1] عبد الرحيم العلام، محمد قاسمي، الرواية المغربية المكتوبة بالعربية، الحصيلة والمسار، وزارة الثقافة المملكة المغربية، 2003، ص 99.

[2] المرجع نفسه، ص 99.

الفترة تحديدًا إلى الوضعية المتوترة>>[1]. فما شهدته الكتابة الروائية المغربية آنذاك من توتر وفوضى ينعكس تلقائيًا وضعفًا وترددًا وإقبالاً على الكتابة الروائية، فالرواية كجنس أدبي دأبت منذ بدايتها على صوغ مختلف الهموم الإنسانية فهي أشبه بآلة تسجيل لما يدور في الواقع المغاربي فقد أولت أهمية قصوى للرسالة الاجتماعية وبشكل خاص لقضايا الثورة والتحرير.

فقد تحولت الرواية إلى محفز لإيقاظ الوعي الجماهيري، حيث لجؤوا إلى الكتابة الروائية للتعبير عن تضاريس الواقع المتغير بكل تفاصيله وتعقيداته حيث <<شكلت عملية البحث عن كتابة روائية أصلية ومتميزة شاغلاً قويًا لدى الروائيين المغاربة منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي ونتيجة لذلك برزت إلى الساحة الأدبية عدة أعمال روائية منفتحة على السجلات الثقافية للتراث العربي>>[2] فهذا التغير في الحساسية الأدبية لدى المبدع المتلقي على السواء أصبحت ذات حضور أقوى مما كانت عليه.

ومن الطريف اللافت للنظر أن تظهر هذه الأعمال في صيغة سير ذاتية وفي هذا السياق تطرق محمد عزيز مصباحي في مداخلة قيمة إلى ظروف نشأة الرواية المغربية وتطورها قائلاً: <<لا شك أن الرواية في عالمنا العربي جنس أدبي حديث، لا تدخل فقط في مجال القيم والأدوات التي استوردناها في المغرب، بل هي تعبير ثقافي واجتماعي عن انتقال المجتمع المغربي من حالة الركود والفطرية إلى حالة التجربة>>. فقد دأبت الدراسات النقدية الروائية على وضع الروايات في مقابل الواقع الاجتماعي لهذا شرعت في استخراج مظاهر الواقع الاجتماعي من الروايات.

---

[1] المرجع نفسه، ص 99.

[2] طارق غرماوي، <<الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة>>، الخطاب، المجلد 13، العدد 1، المغرب، (د.س.ن)، ص 151.

وأضاف المصباحي أن الرواية في بدايتها توسلت إلى الواقع المرتبط به تاريخيًا بالفطرة الواقع المرتبط بمسط رأسها الغربي، واقع حياة البورجوازية[1].

ومع حلول السبعينيات، اتجهت الرواية المغربية، إلى تطوير شكلها وبدأت تنشد أساليب وتقنيات جديدة في السرد، والتجريب فقد حققت تراكمًا نوعيًا مُهمًا وحظيت بمقروئية محترمة في المشهد الأدبي المغربي، وعلى المستوى الدولي وقد صدرت في هذا الإطار نصوص روائية لها قيمة إبداعية ورمزية في المشد السردي المغربي.

اما في العقد الثمانيني، فقد أصبح الكاتب المغربي القدرة على تقديم الواقع وفق تصور ذات المبدع ورؤيته الفنية الخلاقة التي تمكن الرواية من العبور إلى العالم الفني التخيلي <<فأصبح بالإمكان اقتراح بداية زمنية جديدة للرواية المغربية بداية لها مبرراتها التاريخية ومحدداتها التراكمية وشروطها الإبداعية المرتبطة بالكتابة الروائية وبمختلف مستويات المتلقي عمومًا اي فالإيقاع الروائي الذي سارت به الرواية المغربية قبل الثمانينات، كان إيقاعًا بطيئًا ويكاد يكون متشابهًا على مستوى التراكم النصي دون الحديث هنا أيضًا عن القيمة الإبداعية المتفاوتة بين نصوص أخرى>>[2] من هنا يمكننا القول والاعتراف بأن الكتابة الروائية في هذه المرحلة مرتبطة أشد الارتباط بالواقع المغربي محاولة إيجاد حلول لها.

لقد صورت الرواية المغربية منذ نشأتها الوطنية والاجتماعية والاقتصادية ومن هنا أصبحت الروايات الواقعية هاجس معظم الروائيين الذين ألحوا على ارتباط الرواية بالواقع ولعل من أبرز مظاهر هذا الوضع الإشكالي الذي ميّز نشأة الرواية المغربية أن الأعمال السردية الطويلة الأولى ظهرت في صيغة سير ذاتية ومن بين هؤلاء عبد المجيد بن جلون

[1] محمد عزيز المصباح، 25 يوليو 2018، 11:46، نشأة الرواية المغربية وتطورها، بيان اليوم، العدد 6464.

[2] عبد الرحيم العلام، المرجع السابق، ص 100.

1957 الذي قال في بعض أحاديثه بأن <<الغرض من القصة أن تصور في عين القارئ حياة واقعية بكل ما في هذه الحيات الواقعية من غنى وأصالة>>[1]، ومعنى ذلك أن الرواية في المغرب سلكت اتجاهًا مغايرًا يعيش على إيقاع أحداث العصر.

ويرى أيضًا حميد الحميداني في كتابه الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي أن <<الرواية هي التي تتجاوز في رؤيتها ما هو موجود في الواقع من أجل البحث عن قيم أصيلة غير موجودة في الواقع>>[2] كما أن أي عمل روائي لا يظهر الا عندما يكون هناك استياء من القيم السائدة في المجتمع وطموح نحو قيم جديدة ومغايرة.

وقد قدم أحمد اليبوري في كتابه "الكتابة الروائية في المغرب" رصدًا لتطور الكتابة القصصية الطويلة بالمغرب، بظهور نصين شبه روائيين هما "الرحلة المراكشية" لابن المؤقت و"الزاوية" للتهامي الوزاني قبل أن تظهر الأعمال الروائية التي بلغ عددها خمسة خلال الخمسينات[3].

وإذا حصرنا الحديث في الرواية المكتوبة باللغة العربية، فالملاحظ أنها حققت بالغرب تراكمًا كميًا ونوعيًا لافتًا. ومع ذلك يصعب أن ندّعي أنها بنفس الغزارة والنوعية الموجودة في بلدان أخرى في العالم العربي أو في أوروبا أو في أمريكًا.

<<نعتبر "دفنا الماضي" 1966 لعبد الكريم غلاب أول رواية بالمعنى الأوروبي تصدر بالمغرب وهي رواية مصيرية تصور فترة حاسمة من تاريخ المغرب الحديث فترة مقاومة الاستعمار وإعادة بناء الهوية الفردية والوطنية>>[4]، إذ تعتبر أوّل رواية مغربية

---

[1] حسن لمين، 24-09-2021،الرواية في الادب المغربي ظروف النشأة ،مجلة الاتحاد الاشتراكي (الجزائر د،ص).

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد الغني حسني، الرواية الغربية (د.ت)، (د.ط)، ص 1.

[4] عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية تحولات اللغة و الخطاب ،ط1 ،شركة النشر والتوزيع المدارس، دار البيضاء، 2000، ص 24.

حقيقية مكتملة الشروط الفنية، وهذا يعود لاستيفائها كل الأسس الفنية والجمالية للرواية الحديثة.

والملاحظ أيضًا هو تعدد وتنوع المساهمين في الإنتاج الروائي، بشكل يبدو معه الأمر كأن الرواية المغربية الآن تختزل ماضيها أو تاريخها كله وأغلبهم إن لم يكن كلهم يواصلون الإنتاج والإبداع إلى اليوم.

فالرواية، إذن في المغرب تحمل أبعادًا تاريخية وسيرية مبنية على وقائع من تاريخ المغرب والأندلس يضفي عليها بُعدًا تخيليًا، وهو ما يجعلها تجمع بين الكتابة التاريخية والكتابة السيرية يبعدها عن مجال السيرة الغيرية ويقربها من مجال الرواية <<وبالرغم من ذلك فان الرواية المغربية قد تمكنت من تجاوز بعض الإيقاعات البطيئة، في مجال الكتابة والنشر، تلك التي كان يسير بها التراكم النصي قبل الثمانينات من القرن الماضي، بحيث أصبحنا نلحظ، منذ بداية العقد الثمانيني تحديدًا، بتزايد التراكم النصي الروائي والسير ذاتي، بشكل مكثف نسبيًا وإن كان غير منتظم نظرًا لخضوعه، هو أيضًا لشروط طبيعية تحد من إيقاع تواتره بشكل متنام ومتصاعد>>[1] فقد تميزت الرواية العربية عمومًا بالاجتهاد والبحث عن تنوع مبدع يفصل بين روائي وآخر، ويقيم بين الروائيين حدودًا واضحة.

إن العمل الروائي لا يظهر غلا عندما يكون هناك استياء من القيم السائدة في المجتمع وطموح نحو قيم كيفية جديدة كما أن الرواية المغربية عبرت عن طبقة اجتماعية متميزة وهي الطبقة البورجوازية، إذ أنها عبرت عن تصوراتها وجسدت أفكارها وراءها <<على أنه لا ينبغي أن ننسى أن الرواية لم تكتب إلاّ بعد مرحلة الاستقلال، وقد يكون المضمون إيديولوجيًا نفسه لهذه الفئة البورجوازية ذات المنزع الوطني قد عدل أو أفصح عن بعض

[1] عبد الرحيم العلام، المرجع السابق، ص 103

أهدافها وسلوكها>>[1]، فالصراع الذي انبثقت منه النخبة الوطنية والمناخ الذي تنفسته والمعارك التي خاضتها، كل ذلك تهيمن فيه السياسة، مما جعل قضية المثقفين الأولى والأخيرة سياسية، وهذا ما يعلل ورود الكثير من الروايات المغاربية.

ولعل أغلب الروائيين ذهبوا إلى اعتبار ظروف ومشاكل البورجوازي الصغير محور أغلب الإبداعات الروائية.

إن مسالة المضامين الروائية تبدو ذات أهمية بالغة وفي الوقت ذاته هي متعة روحية تتجلى من تعطش الفرد للفكرة المجردة وبالتالي للجمال المطلق <<إن هذا الإنتاج الأدبي العربي المغاربي فضلاً عن مواكبته الإبداعية لتاريخ وتحولات هذا الفضاء فهو أدب يجسّد ويصدر عن قواسم مشتركة تعتبر ثمرة استلهام الأدباء لنفس السياق السياسي والسوسيوثقافي>>[2] والأكثر من ذلك أنها حتمًا تنطلق من فكرة مفادها أنّ الفن الأدبي لا يتعدى مجرد عكس الواقع ومن ثم استخراج مظاهر الحياة الاجتماعية من الأعمال الروائية ومقابلتها بالواقع.

<<لقد كانت المناهج الأولى التي تعتمد على تصورات تاريخية واجتماعية تنطلق من مبدأ أساسي يعتبر الفن عمومًا البنية الفوقية لحياة المجتمع، وكان يُنظر إلى الرواية كفن قادر على عكس الصراعات المحتدمة في الواقع>>[3] فالأدب الروائي في جوهره من الفنون الجميلة يعكس مظهرًا من مظاهر الحياة الاجتماعية ينزل على الواقع وينهل من قضاياه، فينفذ إلى أغوار مشكلات الإنسان والواقع من أجل الإسهام في تغييره.

---

[1] الحمداني حميد، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985،ص 126.

[2] عبد الحميد عقّار، المرجع السابق، ص 20.

[3] حميد الحمداني، المرجع السابق، ص 10.

نعتبر الرواية تركيبا وإبداعا يسعى دائما للتمثيل وتمثيل الواقع الاجتماعي فهو أشبه بآلة تسجيل لما يدور في الواقع فهي كما يرى عبد الحميد عقار في كتابه الرواية المغاربية " فداولت أهمية قصوى للرسالة الاجتماعية وبشكل خاص لقضايا الثورة التحريرية "[1] . فالرواية المغربية مغربية بكل ما في الكلمة من معنى حيث توجه كتاب الرواية المغربية إلى التعبير عن قضاياهم السياسية والثقافية والاجتماعية وعن فكر الطبقة الشعبية وأوضاعها فصوروا الجهل والفقر والمرض والتخلف والفساد كما رصدوا لنا مظاهر التجديد من الحياة الاجتماعية والسياسية وذلك من تاريخ ظهور الرواية المغربية من جيل الستين عام 1967م جيل الضمأ لمحمد عزيز الجنابي واستمر مع ما رافقها وتناهى من روايات، فالرواية أكثر الأجناس الأدبية مقدرة على الإبداع والاستفادة من الأجناس الأخرى فهي " الوريث الشرعي للأجناس السابقة "[2].

فقد ترجم الكثير من كتاب الغرب العديد من الأعمال الفنية والأدبية وأتيحت لهم الفرصة لمطالعة الأدب المغربي مثل بول بولزوتينيسي، ووليامز وبريون وويليام وآخرين.

لقد شهدت الكتابة في الأدب الغربي الحديث تطورا سريعا، فشرع الروائيون يتأملون هذه الذات، ويشرحون الواقع المرير والمزري " حين كان الاستعمار الأوروبي لبلدان هذا الفضاء منذ القرن 19، وبروز حركات التحرر الوطني مع مطلع القرن العشرين، حافزا لإيقاظ الوعي، وبالحاجة إلى التنسيق والتضامن من أجل إجلاء الاستعمار، وتحقيق الاستقلال "[3] ، أين ركزت هذه الأعمال على الطبقة الكادحة أثناء الثورة وبعد الاستقلال فهي تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الإنسان وتجسد ما في العالم.

[1] عبد الحميد عقار، المرجع السابق، ص10.

[2] طيبي بوعزة، علي كبريت، مجلة البدر، المجلد 09، العدد 07 سنة، جامعة بشار 2017، ص185.

[3] عبد الحميد عقار، المرجع السابق، ص11.

إن أغلب الروايات الغربية بقيت محصورة في إطار ضيق، هو معالجة القضايا الاجتماعية المغربية خاصة في ظل تلك الظروف التي كان يعيشها المغرب في تلك الفترة.

إلا أن أغلب الروائيين امتلكوا القدرة على جعل الرواية العربية أداة حقيقية لتحليل الواقع.

إن هذا النوع من الكتابة الروائية أدى إلى ظهور نوع من التمرد على الأنماط السائدة وجعلها تلامس قضايا مستمدة من المعاناة اليومية للإنسان المغربي " إن الرواية تصدر الجيل الجديد في حالة انتصار حاسم على الجيل القديم ومخلفاته ".

فالرواية إذن هي رصد لوقائع حدثت في تاريخ المغرب التي تعبر عن انشغالاتها الاجتماعية بحيث أنها ساهمت في خلق جانب من شروط ظهور الرواية المغربية.

ويمكننا من خلال تتبع نشأة الرواية واستوائها نوعا أدبيا قائما بذاته بحيث يتواصل مع الآخرين من البشر مهما بعد زمنهم وبعد مكانهم فيصبحوا بإمكانهم أن يعايشوا صورة الوهم وأن يتأثرون به ". فهو أدب يجسد ويصدر عن قواسم مشتركة تعتبر ثمرة استلهام الأدباء لنفس السياق السياسي والثقافي "[1]. مما يعني أن هناك مرجعية واحدة يصدر عنها هؤلاء الكتاب، بل وثمرة استلهام المتخيل ولنفس الذاكرة اللغوية المشتركة.

لقد ظلت الممارسة الروائية المغربية والعربية تعاني من تبعات في شكل تمزق مأساوي فضيع، بين شكل روائي غربي ومضمون حكائي عربي، فالملاحظ أن أغلبها يستمد رصيده من مقومات الرواية الكلاسيكية المعروفة بهيمنة الحكباة، لكن غايتهم كانت واحدة وهي التوجه للوقوف على الخلل الاجتماعي عن طريق تسخير أدواتهم الفنية في سبيل تحقيق ذلك، فهو يحرص على تقديم الصورة الذهنية والتصورات التي تفرضها الأحداث وفق رسالة اجتماعية من واقع الإنسان المغربي.

[1] الحمداني حميد، المرجع السابق، ص204.

فالرواية المغاربية بصفة عامة رصدت جل التحولات الاجتماعية والسياسية راصدة حركية الواقع المغاربي، فقد شكل الإبداع الروائي العربي الكثير من الأعمال الأدبية التي تعبر بصدق عن تجربة واقعية عاشها خلال فترة زمنية محددة، لذلك فنشأة الرواية ارتبطت بعمق بما وقع من قضايا اجتماعية وسياسية، فكانت تلك المشاهد بمثابة شاهد فني للسرد العربي[1].

والخلاصة أن الرواية الغربية قد تمكنت من تحقيق قدر من التطور على مستوى كل من الشكل والمضمون وذلك بفعل تراكم التجارب الروائية وتنوعها بحيث حظيت الكتابة الروائية بتزايد عدد المهتمين بها كتابة وقراءة ونقدا.

[1] عبد الحميد عقار، المرجع السابق، ص20.

المبحث الثاني: تجليات الواقعية في الرواية المغاربية.

" دور الأدب هو المساهمة في تحرير الطبقة التي تحررها تحرر البشرية الجمعاء و هذا الأدب (مطلوب) و الممكن تاريخيا لا يساهم في التحرير إلا إذا كان واقعيا "[1] فالأدب هو نشر الوعي الاستعماري بالواقع وفهم الواقع و الحياة و ذلك وفق شروط الإنتاج الفني أن يكون تعبيرا حقيقيا واقعيا في الحياة اليومية " فمن المهم جدا له أن يستوعب هذا الواقع كما هو بالفعل و لا يقتصر على التعبير عما يبدوا مباشرة ، إذ يسعى الكاتب إلى استيعاب الواقع و عرضه كما هو فعلا أي أن يكون واقعيا فعلا "[2]

لقد أخذت الرواية المغاربية المعاصرة طريقها نحو الواقعية التي أعدها الباحثون منصب اهتمام لكن إذ أراد الباحثون أن يحددوا ميلاد الواقعية العربية يستعصي ذلك سبب تضارب آراء النقاد إذ يرى بعض النقاد أن ميلاد الواقعية في الرواية العربية حملت الجانب الواقعي منذ بدايتها لأنها عالجت القضايا الاجتماعية آنذاك ، أما على مستوى المغاربي الذي يعتبر قطرا واحدا مشتركا في الخصائص التاريخية و الثقافية ، و واكبت المغاربية تجريب الواقع ، فالرواية الواقعية المغاربية أعطت انطباعا إيجابيا في السرد الأدبي مما جعلها تكون منصب اهتمام لدى الأدباء و الروائيين و الخروج عن الصمت إلى الكتابة عن الواقع المعيشي .

[1] فيصل دراج ، الواقع و المثال ، دار الفكر الجديد ، بيروت ، ط 1 . 1999 ، ص 33

[2] جورج لو كاش ، دراسات في الواقعية ، ترجمة نايف بلوز ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 3 1985 ، ص 124

أ. في الجزائر :

فالواقعية في الرواية الجزائرية وجدت اتساعا كبيرا و متنفسا للتعبير و الكتابة فهذا المذهب وجد ميولات كبيرة من طرف الكتاب الجزائريين للتعبير عن وضع البلاد بعد فترة الاستقلال إذ أن المذهب الواقعي جعل الأدباء ينقلون جميع القضايا الاجتماعية المختلفة للحياة بتعبير صادق دون تزييف في القضايا التي تحدث فيها الأديب الجزائري في الرواية الواقعية عدة قضايا منها الإرهاب ، المرأة .....

و توجد العديد من الروايات التي كتبت في هذه القضايا مثل : " غادة أم القرى " لأحمد رضا حوحو حيث تناولت هذه الرواية قضية المرأة و حريتها و المرأة في فترة الاستعمار ، كما أن الرواية الجزائرية لم تحقق كجنس أدبي إلا بعد فترة الاستقلال ، كما كتبوا عن القضية أو الثورة الجزائرية قبل اندلاعها و بعد استقلالها و أبرز هؤلاء الروائيين الجزائريين نجد مولود فرعون في رواته " ابن الفقير "

" و حتى أنهم ذهبوا لطرح قضية بعد الثورة كقضية الإرهاب و العنف و الإجرام ما فتئ سؤال الإرهاب يزداد تعقيدا أو غموضا و كان أسرع إلى الرواية العربية فإن الرواية ما فتئت سؤال الإرهاب القديم و الجديد بين مقاومة الاحتلال و مقاومة الاستبداد و القمع ....."[1] أي أن الروائيين الجزائريين لم يكتبوا عن قضية واحدة فقط بل تعددن القضايا حتى بعد فترة الاستقلال لم تكن الحرية مكتملة بالنسبة لهم فظاهرة الإرهاب نقلت صورة واقعية حقيقية صادقة دون تزييف أو زيادة أو نقصان من قمع و عنف و اغتصاب و كثيرة من الأعمال الإجرامية التي شهدتها في هذه المرحلة ، كما أن الرواية الجزائرية الواقعية واجهت انتقادات كأي رواة جديدة بمذهب جديد خصوصا الذي يكون معبرا و ناقلا للواقع فالرواية

[1] بن هاشم عبد الله ، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب الجزائري ، تجليات الواقعية في الأدب الجزائري ، رواية دار الكبيرة لمحمد ديب النموذج 2021-2022 ، ص 13-14

الجزائرية موضوع و واقعية الثورة الوطنية مما جعلت منصب اهتمام للأدب و الروائيين أمثال : الطاهر وطار في رواية " اللاز " التي نقلت موضوع و قضية الثورة ، كما نجد أيضا " طيور في الظهيرة " لمرزاق بقطاش بالنسبة لرواية " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة التي نقلت صورة حقيقية أمنية صادقة لواقع الريف الجزائري بعد الاستقلال ، فكل من هاته الروايات حركت أسر الواقع عن طريق التسلية و الترفيه بنقل صورة غير مباشرة ، فكانت الثورة نقطة تحول مهمة بالنسبة للرواية الجزائرية ' حيث اعتبر بعض الأدباء بأن الكتابة على الثورة و بطولاتها أمرا ضروريا مع المحافظة على الإبداع في الكتابة لأن هذا الموضوع تاريخي فقد حافظوا على هذا الجانب و لم يستغلوا هذا العمل الإبداعي لرسم الحدث بل كان عبارة عن حقائق جرت في تلك المرحلة نقلت بصورة واقعية ، كما ألهموا على قضية المرأة و العنف بعد إيصال فكرتهم و رسائلهم التي تتضمن الثورة قبل الاندلاع و بعد الاستقلال فكانت قضية الإرهاب المطروحة الثانية بعد الثورة لأنها شكلت خوفا وهلعا في نفسية المجتمع مما زادها تعقيدا أو غموضا فكانت الغاية من هذه الكتابات و هذه القضايا نقل الصورة الواقعية للشعب عن طريق الكتابة كما صور الأدباء الخوف الذي عاشه الشعب في تلك المرحلة فكانت هذه القضايا محتاجة إلى من ينقلها بصورة مصادقة جديرة و معالجتها ، كما أنها برزت الرواية المكتوبة بالفرنسية التي هي أيضا أجدرت و كشفت عن الواقع الاجتماعي الجزائري و كان سبب الكتابة بالفرنسية هو نقل الرسالة بلغة المستعمر و هذا ما جعل أن نرى جميع أو معظم الأعمال الأدبية بازغة و متميزة لأنهم عايشوا هذه الفترات أي التجربة الشخصية التي أعطتها واقعية أكثر

لقد رسمت الرواية كل هاته القضايا التي عالجها الأديب بقلمه متأملة في هذا الواقع و نفسية الشعب و المجتمع مما جعلهم يهربون من الشعر كافة متجهين للرواية التي جعلت مكبوتاتهم و حقائقهم و وقائعهم في كتاباتهم " فالرواية بديل أقدر من الشعر" [1]

أي أن الرواية لا يوجد قيود تتبعها فهي حرة طليقة كما أن لغتها بسيطة و هذا ما جل و ازداد و أكثر إلى ميولهم إليها و خاصة الواقعية في الرواية مما جعلتهم يميلون كل الميل إليها ساعدتهم فالرواية الجزائرية الواقعية منسب اهتمام لدى الأدباء و هي عبارة عن نقل الحقائق الصادقة و توثيقها للأجيال .

[1] د يونس الفقيه، الواقعية في الرواية بين الثقافة و الحضارة ، الرواية المغاربية و الفهم القومي ، ، دار الفرابي ، بيروت لبنان ، ص 389

ب. تونس :

شهدت الرواية التونسية تفوقا كبيرا مما جعلها تتطور بشكل كبير في الجانب الفني ، ففي البداية كان الأدباء التونسيون مهمتين بالقصة القصيرة و المسرح و الرسم و لم يعدوا اهتماما كبيرا للرواية و لكن بعد ظهور الرواية أعدوها منصب اهتمام كبير و أصبحت الرواية منصب اهتمام و إثارة و جدية عن باقي الفنون الأخرى بينما يوجد كتاب آخرون كتبوا الواقع كما عرفوه بأحداثه و تفاصيله و مشاكله و ضغوطاته ، كما كان لها شعبية كتابية مند الاستعمار الفرنسي ، كما أنها لاقت تشجيع كبير من طرف جمهورها لأنها نقلت واقعهم الحقيقي و تكلم باسم الشعب و كان للرواية الواقعية بروز في تونس بعد الاستقلال .

كما تنوعت قضاياها و التهمت مجموعة من القضايا مثل : انجراف الشباب إلى المجموعات الإرهابية في رواية "غلالات بين أنامل غليظة " للروائية عفيفة سعودي التي عالجت في هذه الرواية قضية انضمام الشباب للمجموعة الإرهابية ، كما أنها عالجت قضايا الفقر و التهميش و المخدرات و الحرقة و البطالة ...

مما جعل قضاياهم الاجتماعية تتداخل مع حياتهم الشخصية و عقدهم كما نقول أن الواقعية في الرواية التونسية تخللت الجانب السياسي و تحدث فيه أي أن جميع موضوعاته كانت من الواقع الاجتماعي عبروا عن واقعهم من خلال كتابتهم .

ج–في المغرب :

فالواقعية في الرواية المغربية لا يوجد اختلاف بينها و بين واقعية الرواية العربية فالرواية المغربية وضعت داخل قالب الواقعية منذ نشأتها لأن الكتاب كتبوا عن الواقع المعيشي و خصوصا فترة الاستعمار الفرنسي و جلب الحرية كرواية " سبعة أبواب " لعبد الكريم غلاب إذ أن الرواية المغربية عالجت الواقع الحقيقي إبان الاستقلال و بعد الاستقلال كما أنها نقدت الظواهر الاجتماعية السلبية التي عرفها الواقع الاجتماعي في كلتا المرحلتين " كرواية جيل الظمأ" لمحمد عزيز لحبابي التي عالجت العديد من القضايا منها صراع الأجيال كما شهدت الرواية المغربية بعدما تحول الكلام المهتم بالواقع المغربي الاجتماعي إلى كلام يهتم بطبيعة الواقع الاجتماعي كما أنها امتازت بالنقاد الواقع بأسلوب مميز وواعي مع الكشف عن التمزقات الاجتماعية و في أعمال "محمد شكري " نجد تصويرا للمجتمع المغربي بكل تفاصيله من معاناة وفقر و جوع و تشرد و جهل و ظلم .... ففي رواية " الخبز الحافي " لم يكشف حقائق تلك الفترة بالمغرب لهذا تميزت الرواية الواقعية المغربية عن باقي الروايات امتازت بالقوة في الكلام و المواجهة و التعبير ، كسرت قيود القيم و التقاليد ، امتازت بالواقعية الادجاجية لكونها مصادقة منقولة من تجارب حقيقية لكتاب عايشوا مرارة الواقع كما أن رواية " الشطار " لمحمد شكري رواية واقعية أحداثها مشتقات من رحم الواقع ، فهي كانت تكملة لرواية " الخبز الحافي " فكلتا الروايتان نقلتان الواقع عن طريق الكتابة

لقد تميزت الرواية المغربية الواقعية بالصدق في التعبير و تصوير و نقل الواقع على حسب المذهب الواقعي ، لأن جميع موضوعاتها التي تناولتها معايشة من الواقع " إن الواقعين الجديين يريدون بدون تحفظ أن يعكسوا الحياة الاجتماعية في زمانهم عكسا صادقا " [1] يجب أولا على الأديب قبل بدء الكتابة أن يكون معايشا لهذا الواقع الذي يريد أن يكتب فيه

[1] جورج لوكاتش ، دراسات في الواقعية ، ص 14

قريبا منه ، يعرف أدق تفاصيله بعدها يكتب و يعرض أعماله فيها ، مما جعلوا قلمهم سلاحهم البارز محاربا لمعاناة الشعب ، كما أن الواقعية في الرواية المغربية لا تختلف عن واقعيته الرواية العربية لأنهم عايشوا نفس الآلام و الوجع و المشاكل الاجتماعية و خصوصا الجزائر و تونس فلم تكن تختلف بل اشتركت في نقطة و هي الاستعمار الفرنسي و النضال و الحرية مما جعلهم يعيدون وقائع الاستعمار و الحرية عن طريق السرد مما جعل الأدباء ينتقدون الواقع الاجتماعي المغربي الذي لم يكن متحضرا مثل باقي الحضارات الغربية الأجنبية .

كما نذكر الروائي "محمد شكري" الذي نقل الواقع بصورة حقيقية و جسدها في رواياته " الخبز الحافي و الشطار" " الجوع الذي يؤلمني أمص و أمص أصابعي أتقيأ و لا يخرج من فمي غير خيوط من اللعاب "[1] حيث بين شدة الجوع و الفقر في هذه الرواية مما جعله يمص الأصابع حتى يخرج خيوط من فمه و هذا أشد ما أوجع القلب كل هذا و لم يطفئ نار الكاتب لتقليل عن الكتابة بل جعله يزداد يوما عن يوما لنقل الواقع في أبشع صورة كسر قواعد و قيود المجتمع و كشف عن المستور ، كما نجد " محمد زفزاف " هو الآخر الذي سخر قلمه للمجتمع لا يختلف عن باقي الأدباء هو الآخر أيضا جاء بنقل الواقع المغربي عن طريق الكتابة و كسر قواعد و قيود و تقاليد المجتمع و جعلوا ما كان مكبوتا مكشوفا ، فالرواية المغربية الواقعية تحدثت عن الواقع الاجتماعي و كشفت مظاهره مما جعلها تفشي بأسراره التي يجب التجاوز عنهما أو ذكرها ذكر و المحن و النعم و النقم التي عاشوها في مجتمعهم المغربي فكانت معظم رواياتهم "سيرة ذاتية " لكن لم يصرحوا بهذا إلا إذا قارنت حياتهم الواقعية مع شخصيات الرواية نجد تشابه كبير بين حياة الراوي و الرواية التي كتبها، فرواية "الخبز الحافي و الشطار " كلتاهما مزجتان السيرة الذاتية للكاتب و فن الرواية مما

[1] محمد شكري ، الخبز الحافي ، دار الساقي ، "د.ط.د.ت" ، ص 09

جعلهما تبرزان في الرواية الواقعية فكلتا الروايتان اعترفتان بواقع الاجتماعي المغربي كما أنه ذكر أماكن حقيقية في مدينة و لم يوظف الخيال و غايته يبوح بما في داخله ليخفف عن قلبه فكان القلم سلاحه الوحيد للتطهير من الداخل مما جعله يرصد في الأدب العالمي الحديث لم ينكر مدينته الذي ترعرع فيها و ماضيه و فقر المدقع ، حتى أنه ذكر أدق التفاصيل في حياته ، كما أنه لغته تميزت و لم تكن الرواية مكتوبة بالفصحى فقط بل تخلل اللغة العامية الشعبية "الدارجة " لتوضيح الصورة أكثر و كل هذه العبارات كانت تصور البؤس و الواقع المغربي في الرواية و كل هذا كان من المذهب الواقعي الذي أتاح الفرصة للأديب لإخراج ما بداخله و تطهير نفسه من مكبوتات و غيظات عاشهما في حياته جعلت الأديب المغربي يخرج من صمت إلى بوح من ستر إلى كشف من إخفاء إلى إظهار هذا جعله يتنفس و كان سلاحه الوحيد قلمه لا نقل أنهم تكلموا عن الاستعمار الفرنسي و السياسة فقط بل كان في أمثال محمد شكري الذي كتب عن حياته و مأساته و واقعه المرير الذي عاش فيه كما أنه عالج قضايا أخرى في روايته.

المبحث الثالث: ظهور الواقعية في الرواية العربية.

تعتبر الواقعية من المصطلحات الفضفاضة التي تتسع لمفاهيم عديدة ومحاولة مختلفة فقد تأثر أدبنا الحديث بمذاهب النقد عند الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بداية بالكلاسيكية ثم الرومانتيكية <<وما من شك في أن الواقعية كأسلوب فني في الرواية تمثل أساسًا راسخًا لتميز أدبنا ونهضته في العصر الحديث، كما تمثل الموجة الغالبة والمستمرة لملامح هذا الأدب إلى اليوم، فمن حقها علينا أن نهتم بها تاريخيًا ونقدًا، لأن الكشف عن المسار وتأصل المفهوم، يؤدي إلى الوضوح ومن ثم الاستمرار على الطريق الصحيح>>[1]. فالواقعية الأدبية سمحت بنوع جديد من الكتابة والذي يقوم يه المؤلف بتمثيل الواقع، وذلك من خلال تصوير التجارب اليومية المعقدة والمترابطة كما يتم في الحياة الواقعية.

-مفهوم الواقعية:

الواقعية كمنهج أدبي حديث تطمح إلى تحديد مفهوم الثقافة كتعبير فكري أو أدبي أو هي انعكاس لعملية الواقع الاجتماعي كما تعد رسالة إنسانية سامية ينبغي توصيلها ونقلها للآخرين بإحساس إنساني صادق>>[2] فهي كمذهب أدبي حرّر من كل قيد حتى يستطيع التعبير عن الحياة بصدق ويظهر قيمها ورذائلها.

ولقد مرت الواقعية منذ ظهورها على أيدي "ستندال Stendhal" و"دينكز Dickens" و"بلزاك Belzac" ومفهوم الواقعية بهذا المعنى يتماشى مع نظرة "ستندال" للرواية بانها الأدب الذي يستقي مادته من حياة عامة الناس، كما يقصد به الأدب الموضوعي الذ لا

[1] د. محسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية ،دط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005 ، ص 09.

[2] حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية الحديثة في مصر، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص 46.

يتعرض للنفس الفردية[1]. فهي تبحث في الحقيقة والواقع، وتنقله نقلاً حرفيًا في محاولة لتقديمه من منظور مختلف دقيق التصوير، وتصدم صورة مثالية للحياة ومعالجتها الناس.

-نشأة الاتجاه الواقعي في الرواية العربية:

تصدرت الرواية بوصفها فنًا مكانة مرموقة في أدبنا في العصر الراهن حيث استطاع هذا المذهب الفني المحدث وذلك بمدة غير طويلة أن يتوصل لمرحلة غالبة من التطور جعلته يزاحم النظم العربي من شعر العرب <<ويمكن القول بأن الاتجاه الواقعي في الرواية هو اتجاه غربي قلده وزاوله كتابنا الروائيون عن وعي بأسسه النظرية، وقيمه الفنية، ومدلوله الاجتماعي>>[2]كرد فعل على الرومانسية التي أفرطت في الخيال والأوهام والأحلام والانطواء على الذات والهروب من الواقع الاجتماعي.

مع تطور المجتمعات التي تنتج الفن الأدبي "الرواية" فقد تعددت اتجاهات الرواية العربية تبعًا لمتطلبات العصر الذي تمر فيه <<والرواية التي أتحدث عنها هنا كان يجب أن تكون مضامينها صادمة للفكر، عابثة ببعض المشاعر الرهيفة التي لازالت لم تواكب حتى بعض أطياف اللفية الثالثة>>[3]، وأن ظهور الواقعية العربية كان نابعًا من ظروف البيئة، وطبيعة المرحلة إلا أننا نلحظ تأثر الروائيين العرب بالروائيين الغربيين، مثل روايات نجيب محفوظ التي اهتمت بالطبقات الفقيرة في المجتمع المصري وطبيعة الحياة القاسية.

---

[1] عبد البديع عبد الله، الرواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، ط1، مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا، القاهرة، 1990، ص 52.

[2] د.محسن عبد الله، المرجع السابق، ص 10.

[3] بلحيا الطاهر، الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة، جذور الشرد العربي، ط06، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، (د.ت)،ص 22.

-الواقعية في الرواية العربية:

انتهى التطور بالواقعية في الرواية العربية بتقسيمها إلى قسمين هما: الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية.

أ- الواقعية الاشتراكية:

أدب موجه لخدمة الأهداف الاجتماعية، فهو أدب هادف لتغليب مصالح الطبقة العاملة عن طريق الإيمان بالاشتراكية[1].

ب- الواقعية النقدية:

هي عبارة عن موقف أدبي ضد قيم المجتمع الرأسمالي بعد أن عجز عن التصالح مع الواقع الاجتماعي وتحوله إلى فن احتجاج، فتميزت الرواية بأنها ذات مضمون اجتماعي[2].

-مميزات الواقعية الاشتراكية:

- ترفض التشاؤم واليأس الذي تميزت به الواقعية النقدية وشخصياتها المريضة.
- أدب متفائل يبشر بالمستقبل.
- يقوم على مبدأ صراع الأضداد والإيمان بأن الطبقة العاملة هي التي تنتصر في النهاية بعد أن ينتهي صراعها مع الرأسمالية ودحرها[3].

[1] د. محسن عبد الله، المرجع السابق، ص 53.
[2] المرجع نفسه، ص 52.
[3] المرجع نفسه، ص 53.

-مميزات الواقعية النقدية:

- أدب متشائم، لا يظهر سوى الجانب المعتم لها.

- تفرض ما هو غير منطقي ذلك أن جانبًا كبيرًا من المثالية ينبع من التفاؤل الحقيقي مع قضايا البيئة والإنسان[1].

-لمحة عن الواقعية عند العرب:

رغم ظهور الرواية الواقعية في الغرب وتعرف العرب عليها إلا أن العرب جربوا هذا الاتجاه بحيث نجد:

أ- على المستوى المغاربي:

يعتبر قطرًا واحدًا يشترك في الخصائص التاريخية والثقافية فقد أكسب الروائيون المغاربة التجريب الواقعي في الرواية المغاربية فبالنسبة للجزائر <<فقد كان النثر أشد التصاقًا بالأرض من الشعر، وقد تجلت هذه الحقيقة في النثر الجزائري والرواية بخاصة، ذلك أن ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى قد ساعدت على ظهور المذهب الواقعي الذي وجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافاتهم مجالا للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من متناقضات وعزلة وحرمان، وما يكثر فيه من دعاوي الحرية والوطنية والديمقراطية والرخاء في نفس الوقت الذي كان فيه الشعب يعاني من الشقاء المزمن والقيود الثقيلة، ولكن الواقعية لم تسد لما تحمله من تشاؤم ونظرات سوداء، وما تزرعه من بذور الحقد والطبقية بل لما فيها من وصف مادي للحياة الاجتماعية المخيفة التي يحياها عشرة ملايين من السكان، ولما فيها من إمكانيات التعبير الصريح القاسي عن تلك وألها، ولذلك لم يعالج النثر الجزائري في تلك الفترة إلاّ الموضوعات المادية الصميمة أو الحيوية الصارخة كالفقرة والتعليم والحرية

[1] المرجع نفسه، ص 52.

والهجرة، وغير ذلك من الموضوعات التي كان الشعب يشكو منها تحت الاحتلال الأجنبي>>[1]

وعلى كل فإن الواقعية قد أخذت مكانتها في النقد والإبداع لدى الجزائريين من خلال السبعينيات ورغم قصر المدة الزمنية استطاعت أن تضع الأسس الأولى لما يمكن تسميته بالمدرسة النقدية الواقعية <<ويؤرخ المؤلف لبدايات الرواية الجزائرية العربية أوائل السبعينيات، وهذا بالرغم من ظهور بذور لما قبل هذا التاريخ مثل "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو التي تعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية، ويرى أن من أسباب تأخر ظهور الرواية إلى هذا التاريخ صعوبة تنازل هذا الفن لاحتياجه أكثر من أي فن آخر، ويكتفي المؤلف بدراسة "ريح الجنوب" لأنها الرواية العربية الأولى كما سبق ولأنها تلتقي في نظره مع رواية "الزلزال">>[2] وإثارة هذه القضايا على مستوى حقل الاشتغال، جعل رواية السبعينات ذات صلة بالواقع كما جعل في الوقت نفسه كتّاب هذه المرحلة في خط التماس مع الفعاليات التي تعمل في الحقل الاجتماعي ولا يمكن أن ينعزل عن شروط المجتمع الذي ينشأ فيه.

إن الروائي الجزائري المعاصر في تجربته الروائية الجديدة، من تلك التي وجدناها ينتقي منها بعض الوقائع المهمة، معتمدًا على التجربة الإنسانية العميقة، ومفيدًا من مسيرتها الحافلة بالتجارب القاسية وببعض الهزائم والمآسي، إضافة إلى الأخبار وأثرت كثيرًا في العمل الروائي· فقد عاش هؤلاء الكتاب بإيقاعها الصاخب وتفاعلوا مع واقعها الثوري.

فالواقعية وإن كانت تتخذ من الواقعي الموضوعي مصدرًا لموضوعاتها إلاّ أنها تحاول الغوص في أعماق هذا الواقع <<فقد اتسمت بهذه الصفات في الأعمال التي عرضناها لها،

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط05،دار الرائد للكتاب، الجزائر، سنة 2007، ص 56-57.

[2] د..محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائري، 1983، ص 138.

في بدايات الواقعية منذ مرحلة النشأة، فإذا كانت الواقعية كمنهج أدبي تدعو إلى اختيار الشخصيات العادية والتي لا تتميز بالغرابة فإن المويلحي ولطفي جهة، ومحمود طاهر قد حاولوا الالتزام بهذا الاتجاه في محاولة للتركيز على شخصيات المجتمع العادية والمألوفة والتي يمكن من خلالها حركة وعمق الواقع الموضوعي ككل>>[1]

وعليه فقد يكون الأديب الروائي صاحب قناع مخاتل لواقعه أحيانًا، بل ولما تعيشه أمته من كوابيس، في محاولة لنقل الأحاسيس والأفكار والتجليات التي يراها الروائي وسيلة مثلى <<وكان من الواضح أن مفهوم الواقعية كان لا يزال في معهده لم يتمثل تمثلاً واضحًا وحيًا في أذهان الكتاب، كما أنه لم يكن من الطبيعي أن تلجأ الرواية التي لم تكن قد اكتملت فنيا لتأخذ بهذا المذهب أو ذاك، في الوقت الذي لا تزال تبحث لنفسها عن مكان بين فنون الأدب الأخرى المختلفة>>[2] فبدأت معالم الواقعة بالظهور منذ عام 1826، إبّان الفترة الرومانسية، ولم يكن اصطلاح (الواقعية) قد ظهر بعد، ولم تبرز الواقعية كمدرسة واضحة السّمات إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر.

ب- عند العرب (في مصر خاصة):

يبدو أن الرواية العربية قد حملت جانبًا من جوانب الفن الواقعي منذ بواكيرها الأولى، والتفت إلى بعض القضايا المجتمع العربي آنذاك، أو بداية تبلور الواقعية كان في فترة الثلاثينيات والأربعينيات التي شهدت نزولاً إلى الواقع وعالجت أهم القضايا البارزة <<ويمكن القول بأن الواقعية نتاج لمصر يتجه من العام إلى الخاص أو من الكليات إلى الجزئيات بقيام فلسفات ذات نزعة علمية تأبى هذا التعميم، وتبدأ من الإنسان كفرد أو جزء من

[1] حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديث في مصر، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص 86.

[2] المرجع نفسه، ص 91.

جماعة، لتفسير ظواهر حياته وعلاقاته الأرضية أولاً>>[1]، ومن أهم القضايا البارزة نجد روايات "نجيب محفوظ" التي اهتمت بالطبقات الفقيرة في المجتمع المصري وطبيعة الحياة القاسية <<وقد كان نجيب أعمق تأثرًا ووعيًا بمناهج الواقعيين من سابقيه في الرواية العربية وهذا واضح في موضوعيته في عرض التجربة، والحياة السياسية كما انعكس في أعماله كرواية قبل الثلاثين فكان يشير إلى انحطاط الحياة السياسية بصفة عامة>>[2].

وقد كان سلامة موسى أول من حمل لواء المنهج الاجتماعي في مصر، وحاول أن يؤصل جذور هذا الفن في صميم الواقع.

<<وكانت "زينب" للدكتور محمد حسين هيكل، والأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران من بواكير الأعمال الروائية في الأدب العربي الحديث، ومن الصعب القول بأن رواية "زينب" يمكن أن تكون امتدادًا متطورًا لحديث عيسى بن هشام الذي يقوم على فكرة نابعة من الواقع المصري في الفترة التي ظهر فيها الكتاب، والقصد منه قصد نقدي في مجمله>>[3] فالاتجاه الواقعي يعد اتجاهًا ناضجًا للرواية العربية، لذلك فمن المنطقي أن تجرب الرواية العربية أولا نقل الحكايات والمشاكل كما نعانيها اجتماعيًا لتخطو بعدها التفاصيل الواقعية.

2- عند الغرب:

لا شك أن الواقعية كمذهب أدبي أو فني كلمة جديدة صيغت هكذا لتدل عليه، على اختلاف ما أطلقت عليه وما أريد لها من الدلالات، فهي من المصطلحات الفضفاضة التي تتسع لمفاهيم عديدة ومجالات مختلفة، أما دلالتها بمعنى تصوير الواقع والتعبير عنه، فهي قديمة قدم الأدب والفن، أي أنها كانت موجودة قبل أن يكون لها أنصار وخصوم، فالإنسان

[1] د. محسن عبد الله، المرجع السابق، ص 15.

[2] د. محسن عبد الله، المرجع السابق، ص 547-548 (بتصرف).

[3] د. عبد البديع عبدالله ، الرواية الان دراسة في الرواية العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 8-9.

منذ بدأ يعبر عن وجدانه إنما كان يتناول واقعة وواقع من حوله الناس والأشياء، مرة يصور الواقع مجرد تصوير وأخرى يستهدف تصويره أغراضًا أخرى، والواقعية لم تظهر إلى في سماء الأدب الأوروبي <<وإذا كانت الحركة الواقعية الأولى قد ظهرت مبكرة في منتصف القرن الثامن عشر فإنها كمذهب فني لا بالمعنى العام نتاج فرنسي خالص على رأسه فلوبير وبلزاك وجي دي موباسان وزولا وغيرهم ومما هو جدير بالتأمل أن الرواية الإنجليزية في نهايات القرن الماضي ظلت في موقف التلقي لجهود الفرنسيين واكتشافاتهم في عالم الرواية الواقعية>>[1] لكن الكاتب الذي اعتبر بحق أب الواقعية في فرنسا "بلزاك" الذي كتب روايات عديدة يصف فيها المجتمع الفرنسي بمخد الأساليب الفكرية ما بين تحليل ونقد وعرش ودراسة.

فالواقعية عند الغرب كانت ردة فعل على التفكير المثالي وهذا ما نجده عند الرومانسية الأوروبية <<إذا الرواية الرومانسية بتقبلها للمغامرة والإسراف العاطفي تبدأ أكثر إغراء لمن يؤمن بقيمة الجملة البيانية في ذاتها، وبالغرابة والإدهاش والإثارة، منفصلة عن المضمون الاجتماعي والقيمة الفنية>>[2]، ظهرت كمذهب ثائر ضد الكلاسيكية ومبادئها، فقد حرر الرومانتيكيون الأدب من كلّ قيد يستطيع التعبير عن الحياة بصدق ويظهر قيمتها ورذائلها.

وكثيرا ما وضع النقاد تحت عنوان الواقعية ذلك الأدب الذي صدر عن كتاب رومانسيين مثل "بلزاك" و"هوغو" <<وعلى نحو ما وضح الأمر فإن الواقعية الأوروبية التي ظهرت علاماتها الهادية في منتصف القرن الثامن عشر، واستكملت أصولها الفنية وفلسفتها الاجتماعية بعد قرن من هذا التاريخ تقريبًا، هذه الواقعية كانت محصلة آراء جديدة في

[1] د. محسن عبد الله، المرجع السابق، ص 552.

[2] د. محسن عبد الله، المرجع السابق، ص 09.

الفلسفة والاجتماع والاقتصاد، كما كانت بإيحاء العديد من المخترعات التي مكنت الإنسان من معرفة الكثير عن نفسه>>[1] وقد عكست موضوعات الروايات الواقعية والقضايا الفنية المثارة من حولها ملامح التطور الاجتماعي والفني.

والواقعية كمنهج أدبي حديث <<هي ذلك المذهب الأدبي الذي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر والدّاعي إلى معالجة موضوعات واقعية مقتبسة من الأحداث الحيّة، أو مأخوذة من الدّراسات التاريخية (فلوبير مثلاً) ووصف البيئة وصفًا دقيقًا وموضوعيًا>>[2]

وقد نزل فيها الكتاب إلى وصف الأشقياء والفقراء والمساجين الذين لم يجدوا حلاً للبؤس والفقر سوى ي الكتابة والتعبير عنه بأدق التفاصيل.

إن التجربة الروائية العربية تعد اتجاها ناضجا في نقل الحكايات والمشاكل الاجتماعية لنخطو بعدها نحو التفاصيل الواقعية إذ أعدت نموذجا مكتملا بربط الأدب بالحياة والانطلاق من الواقع والتعبير عنه لكن دون إهمال الجانب الجمالي والفني والعاطفي والخيالي الذي لا تستقيم الرواية دونه " فيما دون ذلك نرى الاتجاه الواقعي هو هو مع التطور الذي يتمثل في الاقتراب من المجتمع والارتباط به أكثر من ذي قبل والتخلص من هيئة الأوضاع الأدبية الآتية من الخارج والهجوم عليها بجرأة تهدف إلى التحرر "[3].

فالإنسان منذ بدأ يعبر عن وجدانه إنما كان يمثل واقعه وواقع من حوله من الناس، فقد ركزت الروايات الواقعية في مجملها على تفاصيل تتعلق بالبيئة والأحداث والأشخاص وما تعانيه من مشكلات وعلى سبيل المثال نجد نجيب محفوظ اختار أن يكتب الرواية الواقعية فأبدع فيها شكولا وألوانا.

---

[1] مرجع نفسه، ص 560.

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط01، دار العلم للملايين، 1979م، ص 287.

[3] عباس خضر، الواقعية في الأدب (د. ط) وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، بغداد، 1967، ص29.

فقد اختار الجيل الروائي العربي الجديد أبطاله من مختلف الطبقات الاجتماعية ويصورون الأزمات السياسية والاجتماعية التي كانت تسيطر على أفق التخيل الروائي " وأن الروائي الواقعي هو الذي يتمكن من تصوير هذه الأشياء في وجودها الزمكاني " [1]، فنرى أن الحركة الواقعية قد ارتبطت بفترة الاستعمار فحدثت تغييرات اجتماعية كصدى لهذا النشاط " وأن الزعم بأن الرواية الواقعية كل ما فيها واقعي إن قدرات الأديب تتجاوز دائما حدود المصطلحات وضرورات البناء الفني وتقاليده العامة "[2].

فالظواهر الواقعية في الأساس ما هي إلى واقع أو جزء من واقع في زمن ما، فهي ترتبط بالواقع وتستلهمه بكل ظواهره وحمولاته الفكرية السياسية والثقافية، وبكل تناقضاته وتفاعلاته حيث " تكمن القوة العظيمة للواقعية في علاقاتها الدائمة والوثيقة بالواقع القائم "[3]. في محاولة لإبراز العلاقات الاجتماعية والدفاع عن الكرامة الإنسانية وفق ما يقتضيه الأدب والأدب الروائي تحديدا.

وما يمكن قوله عن الواقعية أنها مذهب أدبي يستطيع التعبير عن الحياة والاهتمام بقضايا الواقع من خلال النزول إلى الهامش الاجتماعي، فهي " رؤية شاملة للمجتمع والعلاقات السائدة فيه " ،فإلتزام الكتاب بالهامش لم يكن تعاطفا أو من باب الإنسانية بقدر ما هو تعبير لرفض الوضع الراهن وتقديم رؤية للواقع عن طريق المعالجة والرصد من أجل التغيير والإصلاح.

---

[1] د. محسن عبد الله، المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص14.

[3] س بيتروف، الواقعية النقدية في الأدب تر: يوسف شوكت، منشورات الهيئة العامة للكاتب السورية، دمشق، ط1، 2012، ص83.

الفصل الثاني:

تجليات الواقعية في رواية

"الشطار" لمحمد شكري أنموذجا

المبحث الأول : الواقع الاجتماعي و الثقافي و الديني في الرواية.

لطالما كانت الرواية الاجتماعية محتضنة للشعب و لقضاياه ، والتغيرات التي تطرأ عليه و تصوير أهم المشكلات الرئيسية للوجود الاجتماعي و البشري في صورة صادقة للواقع الاجتماعي في قالب فني . يختلف الواقع و يتباين من فلسفة لأخرى ، و من زمن لآخر باختلاف التطورات الاجتماعية و التاريخية و الواقعية في الرواية المغربية و لقد استطاع "محمد شكري" أن يصور لنا واقع الحياة المريرة التي عاشها و التي تفتقر لأبسط الشروط و المقومات من خلال روايته الشطار ليتمكن من التعبير عن واقع مجتمعه المضطهد بصوره من جوع ، فقر ، أمية ، خمر ، ظلم يقول : كنت يجتاحني الجوع أحيانا إلى درجة الهلاك " من المساء يجتاحني جوع يصيبني بالسخفة و اضطراب نبضات القلب"[1] لقد صور لنا محمد صورة المجتمع المغربي و نقله بمختلف مشكلاته الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و بالتالي يمكن إسناد الرواية إلى ما يعرف بالواقعية . فالشطار هم المنبوذين و المحتالين و الصعالكة و المشردين الذين رفضهم المجتمع بسبب فقرهم و فاقتهم و خمولهم المعتاد و تقاعسهم المستمر عن العمل و انسياقهم وراء غرائزهم الشبقية و استسلامهم للمخدرات و إيمانهم بفلسفة العبث و ثورتهم على المجتمعات الطبقية التي تنعدم فيها العدالة الاجتماعية . و ما يهمنا في هذا الموضوع هو التوقف عند الرواية الشطارية التي سمحت بفتح أفق تيماتية غير معهودة و أباحت الحديث عن مقدسات المجتمع و هامش الحياة فيه و كشف حجب المستور و المحرمات التي لا يجوز الحديث عنها و الإدلاء بمجموعة من الشواهد التي تبرز مكونات الرواية الشطارية و نذكر بعض المظاهر و الصور التي تجلت في الرواية :

[1] الشطار ، محمد شكري ، دار ساقي ، بيروت لبنان 1992 ، ص 30

1.الواقع الاجتماعي :

-الفقر :

الفقر مشكلة اجتماعية تعاني منها معظم المجتمعات في طبقات معينة من أفرادها و قد انعكست ظاهرة الفقر في الرواية على المجاعة التي أصابت الريف على حياة (محمد) فتبدأ معاناة البحث عن الأكل يقول : " كنا نتسابق على حيازة المكان الأول في الصف للدخول إلى المطعم ، الذباب يتساقط في الصحون ، لابد أحيانا من إزالة ذبابة أو أكثر من الصحن ميتة أو مازالت تكافح حياتها يغرقها في المرق من لا يعاف ثم يزيلها حتى يحل الطعام و تموت الجراثيم فيأكل "[1] يعيش الصبي على أكل بواقي الطعام من القمامة كان يقول أن الطعام في قمامة طنجة أفضل من قمامة أهله ، في ظروف تتنوع فيها ألوان المعاناة ، فتلتقطها فرشاة القهر لترسم بها لوحات درامية لا تعرف الرحمة الأيام تمضي و يزداد معها الفقر و الجوع يقول : "أتعمد الجلوس في آخر القاعة حتى يتاح لي اختلاس كسرة خبز من بعض أوائل الموائد قاصدا مائدتي الأخيرة في الصف أو قبلها الطعام لا يكفينا ، نحن الكبار حتى نطمع حتى في الفتاتات المتساقطة نستغل أيضا فقدان شهية المرضى الحاضرين أو المتغيبين فنسطو على الفائض "[2] هكذا صور لنت شكري لوحة فنية بكل تفاصيلها و كأنها أمام أعيننا نعايشها و نحس بما يكابدونه من عناء و شقاء يهرب مرارا و تكرارا من قسوة الوالد و ضراوة الجوع ، تلمحه هنا و هناك بين أكوم المزابل يلتقط بقايا الطعام الفاسدة . فإذا كان الفقر هو المرتبط بالمستوى المعيشي الأفراد في المجتمع فهذا يعني أنه سيتسع ليشمل كل شخص غير قادر على تأمين الملبس و المأوى و الطعام " بعد ذلك التهالك على الغذاء أكون في حاجة إلى النوم حتى أعوض ما فاتني من الليل ، خارج المدرسة هناك مقعد من الاسمنت المسلح ملاصق لأحد جدرانها ، أحيانا يعمق نومي

[1] الرواية ، ص 25

[2] الرواية ، ص 26

" [1] لم يكن مكان قار ينام فيه ، ينتظر لحظة الانفلات النموذجية إلى مكان يرجو فيه المأوى و المستقر لقاء أثمان عزيزة يسدها من قوته و كرامته إلى وسطاء التهريب و سماسرة الروح.

الفقر لعنة تلحق صاحبها و تودي به إلى الكثير من التعب و الشقاوة و الاستغلال " لا أنام جيدا بسبب الجوع و البرد ، وحك جلدي الوسخ و شعر رأسي و التسكع في الليل عندما ينتهي ليل المحظوظين في الشارع يبدأ ليل المشؤوم فيه ، غالبا ما يحتفظ لي أكثر من رفيق بكسرات خبز آكلها مع الماء في سخط "[2]

لم يكن محمد يستطيع إيجاد ما سيد رمقه ، كما يشعر بالعجز و المرض و لا يستطيع شراء الدواء بسبب فقره ، فيجعل الحياة أكثر صعوبة فيضطر لبذل مجهود أكبر في الوصول إلى الأشياء . وفي مشهد لا أبلغ منه يقول : " ثيابي تتسخ و تبلى و تفوح منها روائح جسدي القمل يعشش فيها حذائي يتسرب إليه الماء شعري يغزر و يتدبق وسخا أحكه باستمرار حتى يسود ما بين أظافري ، حين أمشطه إلى الأمام لأنظفه من قشرة الرأس و الغبار يتماشط من قمل أسود نشيط "[3] إنها صورة ساخرة عن واقع الذات المرشوم بالعفونة و صراع مؤلم مما يعيشه و تعبير حي عن مغامراته . و مما يجدر ذكره أن أغلب المجتمعات تعتمد على معيار الجوع في إطلاق مصطلح الفقر على بعض الطبقات الاجتماعية ، إذ أن الطعام لا يكفي دون وجود مأوى و ملابس تناسب الإنسان يقول محمد : " أنام في إحدى عربات القطار القديمة غير المستعملة "[4] و في مشهد آخر يذكر " تقرفصت تحت سقيفة أحد أقواس الساحة وضعت رأسي بين ذراعي المتشبكتين فوق ركبتي طيلة يقظتي لا عابر

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 27

[2] الرواية ، ص 30

[3] الرواية ، ص 32

[4] الرواية ، ص 114

أسمع خطواته في الساحة "[1] و في المسجد أيضا " بعد منتصف الليل أهيم في الشوارع منتظرا باب الله (المسجد الكبير) أن يفتح عند صلاه الفجر ، أنام في أحد أركانه ، على حصير تفوح منه رائحة الرطوبة البشرية ، الحارس الخفاشي الدائم ، أو أي نعاق مسجدي عابر يأتي فيزعزعني في سباتي و يطردني قائلا لي : " هذا مكان للصلاة و العبادة وليس للنوم " [2] في ظل هذه الأوضاع المزرية التي يعيشها محمد و التي تبعث بالأسى ، خاصة و أن الأماكن التي اتخذها مأوى له تقع في أماكن أمينة ، غير أنه لم يتلقى إلى ردود شافية بالطرد من تلك الأماكن التي تفتقد إلى أدنى شروط الحياة ، و يموت فيها ألف مرة في اليوم بسبب خوفه الدائم من اللصوص و المنحرفين . هكذا كانت حياة الشطارة ل محمد شكري التي افتتحها بصورة طفل بائس يعكس بها صورة طفولته في أدق تفاصيلها و هذه السيرة كانت تسجيل أمين لحياته التي عاشها مهمشا في مجتمعه بين أنياب الفقر و الطرد و الصعلكة يقول : " نقلوني إلى جناح آخر خاص بالموظفين و ذوي الامتياز الاجتماعي بعدما فرغت حجرة فيه ، بعض المرضى يتسللون من القاعات الجماعية إلى هذا الجناح الهادئ ، بدأت حاجياتي تختفي عندما أكون غائبا "[3] لكن شكري الذي عاش في المدينة لم يتنكر لماضيه وفقره المدقع فراح يكتب عن قاع المدينة الاجتماعي مركزا على حيوات الهامشين و المهمشين في الحياة ، و لم يتورع حتى عن الكتابة عن المجانين في مشافيهم .

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 08

[2] الرواية ، ص 33

[3] الرواية ، ص 114

2.الواقع الثقافي :

-الأمية (الحاجة إلى التعلم)

لم يكن محمد يعرف القراءة و الكتابة ، حتى بلغ سن العشرين من عمره و هذا من خلال حواره مع مدير المدرسة في طنجة من أجل قبوله في مدرسته يقول يسألني

" هل سبق لك أن دخلت المدرسة ؟ "

لهجته جبلية

أبدا

لقد وفقعت في فخ ، الدم يندفق إلى رأسي بعنف ، حسن لم يحدثني عن هذا الامتحان التحقيق " إنك ستسلم الرسالة إلى المدير و سيقبلك في مدرسته " و هذا ما قاله لي ، جبيني يعرق قطرات باردة أحسها تتدحرج من إبطي

آسف لا أستطيع أن أقبلك في هذه المدرسة من الأحسن أن تعود إلى طنجتك ، هناك يمكنك أن تكسب عيشك كما كنت تفعل

لكنني أفضل أن أدرس ، لقد كرهت ما كنت أعمله في طنجة

سبك يديه فوق مرفقه مكتبه ، تأمل رسالة التوصية ، رفع رأسه :

كم عمرك ؟

عشرون "[1]

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 10

ففي سن متأخرة جدا طور محمد اهتمامه باستكشاف آفاق جديدة و تحمس أكثر لتعلم أشياء جديدة و لكن بالرغم من كل تلك المعاناة فقد تمكن محمد شكري من كسر الحدود و أنة يقيم في المسافة الفاصلة بين الصمت و الكلام لأنه في أمس الحاجة إلى تحدث مع نفسه بصوت الكتابة .إن الفقر له آثاره السلبية التي لا حصر لها على المجتمعات ، و كذلك تكون له آثاره الكبيرة على عملية الإبداع في المجتمع ، إن إحساس محمد بالنقص ولد فيه رغبة في التعلم " سأحاول أن أتعلم في أقرب وقت [....] فكرت لنفسي : إن الأنبياء لم يكونوا في حاجة إلى من يعلمهم كل شيء كان ينزل عليهم جاهزا ، أما من ليس منهم ينبغي له أن يتعلم مثله مثل القرود "[1] إن التقدم في السن ربما كان عائقا لدى محمد من أجل قبوله في المدرسة و يقول أيضا في حواره مع مدير المدرسة : " آسف إن القسم الدراسي الذي تستحقه يدرس فيه أطفال صغار و أنت لك لحية و الذين هم أكبر منك سنا يحفظ معظمهم القرآن و الجارومية و ابن عاشر "[2].

و الحق أن هذا الكاتب الذي عضه الجوع بأسنانه الحداد ، في طفولته ، و حتى في شبابه قد رسم في سيرته الروائية رسما دقيقا و مثيرا و محزنا و مدهشا ، ثم راح يبحث عمن يعلمه فمادام قبلت في المدرسة ينبغي لي أن أتعلم يقول : " الحياة الحقيقية توجد دائما في الكتب " [3] استطاع شكري أن يتعلم و هو ابن العشرين بعد أن تشرب دروسا و ذاق ذرعا من المعاناة ، لقد عانى محمد معاناة طويلة يقول : " كان في الحي كسيح متفوق على كل التلاميذ في الرياضيات ، انقطع عن الدراسة في مستوى الشهادة الابتدائية كان يقدم لنا مساعداته دون مقابل مشروط ، حين يسعفني الحظ أشتري له بعض السجائر الشقراء كان يفضلها على السوداء ، أشتريها من تجار العربات المتنقلة في المدينة الذين يبيعونها

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 11

[2] الرواية، ص 11

[3] الرواية ، ص 22

منفردة"[1] هناك أشخاص اتخذوا من القلم و الورقة سلاح قوي يعبرون من خلاله عن الواقع المجتمعي و بالرغم من صعوبة البداية و المعاناة التي عاشها إلا أنه تمكن من تحقيق مكانته مميزة في النهاية . و في صراحة نادرة آسرة و بوح نادر و بعد أن حصل تطور مذهب في حياة الكاتب و بدأ باكتشاف إمكاناته الجديدة ، وبعد أن نشر قطعة نثرية بعنوان " جدول جبي " في جريدة العلم كتب بقول : " دوخني الفرح و سكرت احتفالا بموهبتي الأدبية الدقيقة ، اشتريت أعدادا كثيرة و وزعتها على رفقائي المتدربين لأشعرهم بأهميتي بينهم فكرت :ابن الكوخ والمزبلة البشرية يكتب أدبا و ينشر " ثم بدأ يغير هندامه ، ليتناسب مع مكانته التي سيحتلها و علق على ذلك بقوله : ابن البراكة و عشير الفئران يتألق ، يتحضر ، يتطور ، يخرج من جلد خشن ليدخل في جلد ناعم و الإلهام ، آه لا بد من ملهمة ، ابن الوحل يستلهم ..."[2] لقد حرمه الفقر من التعلم و لكنه أدرك حاجته إلى التعلم و وه كبيرا بعد أن تشرب كؤوسا قاسية في الحياة من قاع المدينة لكنه لم يتعلم و حسب و إنما اتخذ من تعلمه سلاحا للكشف عن ذلك الواقع المنسي في المجتمع ، ذلك الواقع البائس القاسي الذي يعرفه الجميع . استطاع أن ينتشل حياة المهمشين من القاع المنسي ، ذلك الواقع (المسكوت عنه) المدفون تحت طبقات ضبابية من الأخلاقيات الزائفة ، كتب بلغة عارية تماثل عراء الواقع الذي يكتب عنه ، لغة مباشرة مثل حياة المشردين و الصعاليك الذين لا أقنعة لديهم يلبسونها يقول : " إذا كان الناس يحترمون من يكتب مثل هذه الأشياء فأنا أستطيع أن اكتب مثلها أو أفضل منها ، الكتابة إذن امتياز ، كنت أعتقد أن الأديب لا يرى في الأماكن العمومية و لا يتحدث إلى الناس ، إن الأديب إما هو خفي و إما هو ميت "[3] إنه عمل أدبي حاف من كل المحسنات لكنه حاد و جارح كالسيف جعل الكثيرين يتساءلون كيف لمدمن على تعاطي الحشيش أن يكتب بهذا الإبداع و يقابله بحياته الحقيقية

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 27

[2] الرواية، ص 108

[3] الرواية، ص106

إنها تجربة آلاف مراهقين ذلك الزمن لأنها كانت مؤلمة و كان أيضا الدافع الذي يجعله يتعلم القراءة و الكتابة وهو في سن العشرين .

3.الواقع الديني :

-الانحراف الأخلاقي :

تعد "المراهقة " مفترق الطرق الخطيرة بين الطفولة و الرجولة و مفترق الطرق ذاتها بين الاستقامة و الانحراف و من هنا لا يرتكب " الشاطر" جرائم حقيقية بالمفهوم القضائي و القانوني ، بل يقترف جنحا مجتمعية و طبقية مشروعة إلى حد ما مادام ينتمي إلى طائفة المتسولين ، و من ثم لا يبالي كثيرا بالقيم و مسائل الأخلاق . لم يترك محمد موبقة إلا و جربها فالطفل صورة عن مجتمعه إذ ينمو في بيئة حزينة مهمشة أو سعيدة فتعرف إلى محيطه و يراقب تصرفاته من حوله ، ومع أنه كان يعلم بأن الخمر و الحشيش فعلان لهما عقابهما يقول : " كنا ندخن الكيف لأنه أرخص من السجائر و مفعوله أقوى " [1] وقد كانت بدايته في المقهى الشعبي الذي عمل به و قد كان لاعب قمار : " صاحبت أحدهم في لعب الورق ضد اثنين ، الرهان على الشاي ، صاحبي هو الذي سيدفع عني إذا خسرنا ، عندما داخ رأسي باللعب و الكيف ذهبت إلى مقهى أوماينو "[2] بدأ محمد بشرب الخمر و تدخين الحشيش في الخفاء ، حتى يتقيأ و يمرض إلا أنه سمع نصيحة أحد الحشاشين الذي بادره بالقول " إن ذلك يحدث فقط في المرة الأولى و ستعتاد عليه و هو ما كان : " لقد استنزفتني الحانات و المواخير" [3] و ما يكسبه المراهق من بيع الخضار والفواكه كان ينفقه في الشرب و الدعارة . إن العالم بأسره كان يبدوا للراوي مرآة كبيرة يرى فيها وجهه مشوها و لهذا السبب راح يتعاطى الحشيش و الكيف و الجلوس في المقهى و الدخول إلى السينما و يكثر بإفراط في مشروباته الروحية المتنوعة . وقد بقيت آثار التشرد و التسكع و الاضطراب و الضياع تعمل في ذات الراوي طويلا ، فهو لم يكن يعرف عدد أفراد أسرته ، يقول " حتى

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 29 .

[2] الرواية ، ص 115.

[3] الزواية، ص49.

الآن لا أعرف كم كنا ، لقد كان يولد لي أخ و أخت فيموت أو تموت ، و أنا في طنجة لا أعلم شيئا ، لم أسألها (يريد أمه) قط حتى وفاتها في 84/06/08 " [1] فقد كانت طفولته مختلفة إلى حد كبير عمن هم في مثل سنه ، فقد عاش حياة قاسية بسبب أبيه المتسلط و الأم الغلوبة على أمرها و الأخ الذي يتوفى من كثرة الضرب في مرحلة لاحقة .و مع مرحلة البلوغ تبرز لدى محمد لذة خفية تقوده إلى الخيال العميق و مراقبة أجساد النساء و الفتيات يقول : في قاعة الاستقبال فرنسيات و اسبانيات و إيطالية واحدة ، تنانيرهن تكشف عن أفخاذهن الرشيقة إذا جلسا إحداهن على مقعد يظهر لون تبانها ، كواعب أحذيتهن العالية تبرز مؤخراتهن "[2]يسترق النظر إليهن كاسيات أو عاريات بدهشة و خلسة من فوق الأشجار أو في الأماكن الأخرى ثم ينتهي به المطاف إلى الحيوانات و الطيور الداجنة . حيث الهاجس الأول بالنسبة له في هذه البيئة الفقيرة و الجاهلة و المكبوتة هو الجنس ، و حين أتيحت له الفرصة مع امرأة تعلق بها تدعى كنزة تمتهن الدعارة حين جاءت إلى الفندق ثملة " خلعت لها حذاءها المذهب ومددتها على فراشها بكامل زينتها [....] جلست على حافة السرير عند قدميها و أشعلت سيجارة أتأمل غيبوبتها "[3] إذ يشرب المسكر و يذهب إلى البحث عن لذات الجنس الأولى في المواخير لدى المومسات سواء مواطناته أو الأجنبيات . ففي زمن البؤس الفظيع و الفقر المدقع و الجوع الجارح ، تموت روح الإنسان ، و يخبو هتاف الروح فيها ، لصالح علو هتاف الجسد ، و كما أن الجيوش لا تزحف إلا على بطونها ، فإن الناس الذين يكادون أن يفتقدوا ما يقيم الأود في محيطهم ، يفقدون معاني الحياة و يسخرونه يف الروح معا ، و تتخشب مشاعرهم فتنحل أرواحهم من أجسادهم ، و من هنا فإن محمد أعلن حبه ل كنزة حيث اشترى كتبا للمنفلوطي و جبران خليل جبران و مي زيادة

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 100.

[2] الرواية، ص 86.

[3] الرواية، ص 48.

و بعد أن قرأ هذه الكتب وجد الحب الحق مشروطا بالموت أو بالحزن الأبدي أو بالجنون "[1] كما تعدد أسماء البغايا اللاتي شاركته (ياسمينة ، سلافة ، ليلى ، رشيدة ، نعيمة ....) يقول : " يحدث لي مرات في طنجة أن أستيقظ من فندق أو بيت صديق و لا أعرف من هي التي تنام معي ، أو تغادرني نائما دون أن أراها و لا أتذكر إلا نبضي فيها " [2] لم يجرم نفسه أبدا و كأن المسألة أمر طبيعي لا يستحق أن يلتفت إليه ، ينمي عقيدة الأم في داخله من خلال متابعته أمور النساء من حوله مهما كانت جنسية المرأة التي يصادفها أو عقليتها أو ثقافتها ، فالمرأة بالنسبة لشكري تابعة للرجل و خاضعة له ، إنها موضوع لمغامراته الجنسية و مجال لتحقيق نزواته و إشباع غرائزه و استيهاماته . لم يترك محمد موبقة إلا وارتكبها ، جرب كل ما يتصوره عقل شرير امتهن السرقة بدافع الحصول على القوت يقول : "ضبطني معلم الحراسة بنفسه اختلس كسرة خبز فصفعني و طردني من المطعم مدة ثلاثة أيام "[3] .إن السرقة واحدة من الآفات الاجتماعية الخطيرة على الفرد و المجتمع ، وقد تنتج عن اتباع بعض رفقاء السوء و بدافع الحصول على مصاريف القلم ، لسرق رفقة صديقه حميد ، يقول ذات صباح قال لي حميد :

- تزين اليوم بأحسن ما عندك من ثياب إنه يوم الأحد
- لماذا ؟
- ستعرف فيما بعد
- عندي سترة و بنطال لا ألبسهما إلى في أيام العطل غير الماطرة
- لا تنسى ان تحمل محفظتك الجلدية و قلمك الذي لا تكتب به دروسك
- لكن لماذا كل هذا البهرج ؟

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 46

[2] الرواية، ص 101

[3] الرواية، ص 26

- [.....]
- هناك كثير من العاطلين الوافدين على المدينة من البادية يبحثون عن الشغل
- وبعد؟
- سأصطاد اثنين أو ثلاثة ، سأقول لهم إنك صديق الكاتب الخاص لباشا المدينة ، ستكتب رسالة لكل واحد منهم تقول فيها : " إن حامل هذه الرسالة في حاجة إلى شغل فالرجاء أن تشغلوه " [...] كل شيء يجوز من اجل إنهاء دراستنا [1]

إن رفقاء السوء هم سبب لإفساد أخلاق الإنسان ، فالإنسان عندما يحاط برفقة السوء يتأثر بهم بشكل كبير بسبب حثهم المستمر على ارتكاب الذنوب.

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 54/53

المبحث الثاني: الواقع الاقتصادي والسياسي.

أ- الواقع الاقتصادي:

-التجارة

لقد كان الوضع الاقتصادي في المغرب غير ميسر فكان أهل المدينة يميلون للتجارة ببضائع مغيرة حتى تقوتهم ليومهم وبجد وما يأكلونه ولعالتهم " بشري حسن بعض البضائع الخفيفة: مكبات الخيط، والإبر وعلب الشكولاتة في المخازن ويبيعها للدكاكين الصغيرة في الكبيبات وغيرها مرة صحبته فاشترى مكبات خيط في متجر يهودي وباعها لدكاني مغربي على بعد أمتار بضعف الثمن الذي اشتراها به "[1].

كان همهم الوحيد هو كسب الرزق وهذا لتبلور الحياة المعيشية في تلك الفترة فكانت التجارة هي المكسب الوحيد لهم البيع والشراء " صباح هذا اليوم تاجرت في بيع الساعات الزائفة في الميناء، ربحت ثلاثين دولارا "[2]، فكان الراوي أيضا مكسبهم الوحيد هو البيع والشراء والتزييف والسرقة في البيع المهم أن يكسب قوت يومه لا شيء يهمه إلا المال.

" مرت أيام والتجارة مع تجارة البواخر، كاسدة مرت أقود تارة السياح وتارة الجنود التجار إلى المواخير والحانات "[3].

فالتجارة أحيانا كانت لا تسود عندهم فيلجأ إلى عمل آخر المهم لا يجلس وينتظر أن يعطيه أحد ويعلم أن لا أحد سيمد له يد العون لهذا كانوا يكسبون نقودهم بعرقهم وتجارتهم وعملهم في أي شيء.

---

[1] الشطار، محمد شكري، دار الساقي، الطبعة الرابعة، 2000، ص29.

[2] الرواية، ص43.

[3] الرواية، ص48.

" بعت له موقد البترول بثلاثين سبيطه، سألني عما إذا كان مسروقا أقسمت له أنه لصديق تلميذ في حاجة إلى نقود لشراء دفاتر اقتسمنا المبلغ "[1]. فمن الأكيد طالب العلم يحتاج للنقود كي يكمل دراسة فلابد أن تكون التجارة هي المسلك الوحيد له لكي يقتني مشترايته الدراسية ويجد ما يأكله فكان يبيع كل ما يراه مناسب ويكسبه رزقه.

" جاء المرواني إلى مقهى الرقاصة كعادته لكنه اليوم لا يحمل صينيته الكبيرة المملوءة بالأرغفة الباكستانية ليبيعها في المقاهي الشعبية، هذا الصباح يحمل فقط رغيفا مشطورا مدهونا بالسمن والعسل "[2].

فكان هكذا كل شخص في المجتمع المغربي يحاول أن يعيش بأي الطرق فهنا نجد المرواني الذي كانت تجارته بيع الأرغفة الباكستانية لقوته وتلبية حاجياته ومتطلباته اليومية.

" كل شيء يجوز لنا من أجل إنهاء دراستنا عليهم هم أيضا أن يسرقوا غيرهم كما نسرقهم نحن ".

هكذا قال بعد انصراف الضحيتين، اتفق معهما على مائتي بسيطه لكتابة الرسالتين "، فكانت بالنسبة لهم السرقة والتحايل المصدر الوحيد لهم وكل شيء يجوز لهم فمن المهم كيف يكسبون النقود في اليوم لا شيء يهمهم فكانت هذه التحايلات والسرقات المنهوبة في طبقتهم الفقير لا يحتالون على الطبقة البرجوازية يسرقون بعضهم البعض.

ساعده حميد على نقل أربعة أكياس إلى عربة صغيرة فكرت إنه كسب جديد لكن عواقبه سيئة إذا هم ضبطونا نسرق الأكياس ونبيعها "[3] السرقة والصعلكة والتحايل مصدر رزق لهؤلاء الشباب.

---

[1] الشطار، محمد شكري، دار الساقي، الطبعة الارابعة، 2000، ص60.

[2] الرواية، ص39.

[3] الرواية، ص71.

" إذا اكتشفوا سرقة الكهرباء، فإننا حتما سنطرد في هنا "[1].

الخوف والرهبة تملء قلوبهم فلا حل لهم سوى نهب أملاك الغير.

" هذا الرجل المسكين يريد أن يتزوج بمسكينة مثله، العدول طلبو منه ما ليس عنده في المال ليكتبوا له عقد النكاح هو حلا يقود هي تبيع البخور – اكتب لها عقد الزواج ونحن شهود والله أكبر شاهد على هذا العقد المبارك.

لم تحضر في أية شعرية تمنع ما سأقوم به إن الفقر فوق القانون قلت:

ولماذا لا، على بركة الله "[2].

التحايل كان شامل طبقة الحياة فكانت قاعدتهم الفقر فوق القانون أي أن شيء يجوز ومباح بسبب الفقر الذي يعيشونه فهذا الأخير محمد وصل يكتب عقد زواج لشابين مقبلان على الزواج لأن كاتب العقد طلب مالا كثيرا فكانت هذه المرة الخطة لهم يقولو بأنهم كاتبين عدل وعقد الزواج لكسب بعض الدراهم فمشى الأمر كما ينبغي وكتبوا العقد الزائف وزوجوا الشابين المسكينين وضحكوا عليهم.

وكتبوا العقد الزائف وأفرحوا الشابين بهذه الحيلة الخادعة.

في تلخيص هذا العنصر نقول أن الاقتصاد كان أكثر انحطاطا في تلك الفترة للمغرب ولم تكن بيدهم أي حيلة إلا كسب رزقهم بأيديهم عن طريق السرقة والاحتيال والنهب.

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص71.

[2] الرواية، ص64.

ب- الواقع السياسي:

- الإستعمار:

إن الكتابة عن الذات ترتبط بمرحلة دقيقة من تاريخ العالم العربي، هي تلك المرحلة التي بدأ فيها الوعي يتسرب إلى فئة اجتماعية بورجوازية عربية كانت تجاهد للنهوض من التخلف لتنفتح على العالم المتطور، وقد ظهرت في الغرب سيرة في قالب روائي وهي " الشطار " سنة 1992 والتي نحن بصدد ذكرها، فالعمل الروائي الحقيقي لا يظهر إلا عندما يكون هناك استياء من القيم السائدة في المجتمع، وطموح نحو قيم كيفية جديدة، لا نريد أن نطيل في الكلام عن هذه الفترة لأن مرحلة الاستعمار وما بعدها هي الفترة التي تهمنا في بحثنا حول صورة المجتمع من خلال الرواية المغربية وقد صرح (محمد شكري) بذلك دون حرج ويعلل ذلك بقوله: " ربما لأن المقابر أكثر إيحاء " أو لأنني أحب الموت القديم " ويكرر ذلك فيتساءل في موضع آخر، عما يحفزه دائما على التجول في المقابر اليهودية والنصرانية والإسلامية أهو سلامها؟ أم هي عادتي، أيام نومي فيها؟ أم حبا في الموت؟ [1]. وفي تقديمه السردي للجانب السياسي في مقطوعة " حين يفر السادة يموت العبيد " يتحدث عن أولئك العمال المشردين الذين رفضوا لقاء الباشا، الذي كان بدوره عميل الاستعمار الإسباني: " كان باشا المدينة قد ذهب إلى سوق " ثلاثاء الريصانة ". وألقى هناك خطابا على الفلاحين، لم يرقهم خطابه، فشتموه، ورموه بالحجارة، وضربوه بالهراوات، فأطلق حراسه النار عليهم..... [2].

وبعد ذلك تحدث مظاهر عامة، وبقتل وحرق أثناء تلك المظاهرة، مجموعة كبيرة من الناس، وتزداد المأساة والمعاناة، ويحدد المرحلة الزمنية التي تندرج ضمنها الأحداث بين

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص28.

[2] الرواية، ص15.

عامي 1935م و 1956م في الجزء الثاني من سيرته الذاتية، وأن السبب الرئيسي الذي دفع محمد شكري للتعلم في سن العشرين هو الثورة الناصرية التي حرم منها التي جعلت منه أمي وجاهل، فالجانب السياسي من أهم الجوانب المسيطرة في عصرنا الحالي لدى أغلب الكتاب الذين لجأوا إلى تبني قضايا مجتمعهم أكثر من أي شيء، وأن النظرة الفاحصة لتاريخ الرواية بالغرب يجعلنا نتوقف عند مظاهر التحول الأساس التي لا شك وأن النص الروائي صار يقوم باستنطاق ذاتية الإنسان العربي في أحلامه وانهزاماته وإحباطاته وسبب ذلك ما كانت عليه الأوضاع السياسية في ذلك العصر فاتجه محمد شكري إلى تشخيص ذلك الواقع المليء بالألم والأسى حيث يستذكر لنا موقفا في أحد المظاهرات أن يتهم أحد المتظاهرين أيا كان بالخيانة فيحرق فورا " بعد لحظات لم يبق من الجثة غير بقايا أحشاء ورائحة شحم مقيئة يخرجون الأثاث من المنزل ويراكمونه في عرض الطريق سلب وإحراق، أشعلوا النار في بعض الأثاث والكتب، سلب وإحراق "[1]. لقد توجه الكتاب الجدد إلى موضوعات مجتمعهم، واستأثرت قضايا مرحلتهم التاريخية باهتماماتهم فعبروا عن فكر الطبقة الشعبية وإيديولوجيتها، وصوروا الجهل والفقر والمرض والتخلف والفساد.

ويصرح شكري في إحدى المواقف يقول: " رجال النظام يعترضون طريق الذين سلبوا بعض الأثاث وينزعونه منهم، هناك من خلع ثيابه وارتدى ما سلبه من ركام الملابس اقتحموا منزل عميل في طريق برشلونة لم يجدوا أحدا، نهبوا وأحرقوا، جنوا من جديد راكضين نحو منزل متهم آخر بالخيانة الوطنية "[2]. لقد فرضت إسبانيا شروطا قاسية على الغرب من تملك واستغلال وهيمنة، فنوجه كتاب الرواية الغربية إلى التعبير عن هذه القضايا وعن فكر الطبقة الشعبية وأوضاعها.

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ، ص18.

[2] الرواية، ص19.

إن الرواية حامل معرفي يعنى بتفكيك البنى الاجتماعية والسياسية والأنظمة الإيديولوجية وراصد دقيق لتحولات الواقع وصيرورته، فقد عانت البلدان الغربية من قبضة الاستعمار وعانت القهر والظلم والتجهيل ومصادرة الأراضي، ذلك أن الروائي المغاربي كان لصيقا بالواقع المعيش وبقضايا وطنه وهموم شعبه وتصوير ذلك الواقع المرير.

فالرواية الغربية رصدت مرحلة التحولات الاجتماعية والسياسية راصدة حركية الواقع الغاربي حاملة رسائل مشفرة للوقوف على الخلل الاجتماعي أو العائق الذي يعرقل المسيرة الوطنية فأصبحت بذلك الرواية والقصة مع " محمد شكري " مرآة للواقع الغربي يقول: " السلطة الاستعمارية التي حصد رصاصها عشرات الغاربة في الذكرى الأربعين لإعلان الحماية، هذه السلطة التي تمارس العنف و الإرهاب لم يكن أمام الذات الرواية المتطلعة للتحرر من سبيل إلا بمواجهة عنفها بالعنف المضاد "[1].

فقد استطاع محمد أن يتفاعل مع هذه الملابسات، فالاهتمام بقضايا الوطن نجده حاضرا عنده فهو يحاول تمريرها للقارئ بأسلوب فني شيق انطلاقا من كتابة قصة سردية فنية ويذكر لنا في مسيرة حدثت في الغرب يقول " المسيرة بدأت في صخب رجال ونساء وأطفال، رجال النظام، يحيطون بالمتظاهرين، ينظمون المسيرة والهتافات المعادية للباشا شارة الراية الغربية على سواعدهم، تؤكد سلطتهم "[2] وحدث هذا في طنجة بعد الاستقلال مباشرة أن بعض المتحمسين لسيادة النظام بين الناس كانوا يسمحون لأنفسهم بأن يتزينوا بملابس عسكرية، أو بذلة كاملة مرسومة برتبة ضابط وساعد شارة الراية الغربية، لكن لم تكن السلطات تعترض عليهم، لقد كانت كثير من الأشياء مباحة في تلك الأيام، ولأن كل الناس كانوا يعرفون الآن أن الباشا ضد الاستقلال لأنه عميل الاستعمار الإسباني، لقد صور لنا

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص232، 233.

[2] الرواية، ص15.

شكري الظروف القاسية التي عاشها المغرب في فترة الحماية الاستعمارية وما بعد الاستقلال والتي أثرت بشكل سلبي على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الغرب، فأصبح المغرب أمام محك حقيقي نحو التغيير، بفرض بداية جديدة، بداية بعث مكونات الهوية والثقافة الغربية.

المبحث الثالث :صورة الشخصيات في رواية " الشطار".

-الشخصيات :

الشخصيات في هذه الرواية متنوعة و متعددة فهناك شخصيات تتميز بتحايل و التمرد و غيرها في الوقائع الاجتماعية كما أن هناك متنورة و متعلمة و مثقفة و هناك شخصيات أجنبية كما أننا لا ننسى الشخصيات العائلية التي ذكرها في بداية الرواية و آخرها " الأم، الأب، الأخوة...."

كما أننا نجد النساء العاهرات اللواتي ترصدن هذه الرواية، فكانت كل شخصية تتميز من الأخرى و في جميع هذه الشخصيات سندرس ثلاث شخصيات التي تكون ضمن هذه الدراسة

الأم :

لم تكن للأم أي سلطة في البيت كما أنها لم تكن تعمل أي عاطفة اتجاه زوجه بسبب معاملته لها لكن بالنسبة لابنها كان الشيء يختلف تحبه و تكن في قلبها الحب العفيف " كنا ننام، إخوتي و أنا في حجرة و في الأخرى أبواي، لم نكن نتكلم و لكي أتحاشى رؤيته أجيء في حوالي منتصف الليل، عندما سمعني داخلا يبدأ همهماته اللاعنة غالبا ما أكون أنا موضوعها... قد تكون يقظى "[1] كانت لا تجادل زوجها رغم تسميمها لها و الكلمات الجارحة كانت تعاني بصمت لاحق لها في الكلام و إذا تجرأت و قالت كلمة تهان و تضرب من طرف زوجها الثمل فلم تكن حينها تشمل الأولاد فقط بل حتى جيرانها و خاصة جارتها أم حبيبة التي كانت تشبهها في المعاناة من طرف زوجها و قسوته لها " و تحكي معها أمي و أختي أرحيمو، أختي مليكة غافية على حجر أمي ملامسة رأسها كان التكاتف الحميم

[1] الشطار، محمد شكري، دار الساقي، الطبعة الرابعة 2000، ص 97

استمرارا لصداقة أمي مع أم حبيبة "[1] حيث صور لنا ملامستها الحنية و اللطيفة لابنتها رغم كل المعاناة التي تعيشها لكنها لم تفرط و لم تحرم أحد من أبناءها حنان الأمومة " نظراتها مبهمة فيها حزن دائم، إنها تحتفي بي أكثر من أخوتي ربما لأنني بكرها"[2] كان شكري يفهم أمه في نظراتها المؤلمة له رغم عدم كلامها و عدم شكوتها له، كان يعاملها بشكل لطيف لا يتعالى عليها في الكلام رغم دراسته و مستواه الذي وصل إليه، كانت العلاقة بينهما علاقة عطف و حنان عكس علاقاته مع أبيه .

ذكر محاسن الأم و كل تعبها و معاناتها في هذه الرواية إذ أن العلاقة بين الأب و الأم كانت ذات حب و حنان و رأفة و مودة علاقة حب كبيرة كما أنها بعد عودته من الدراسة و التدريس كانت تروي له أحداث جرت معهم أهل المدينة و لم تخفي شيئا " أمي حكت لي أنه لكم أباه و ركله و سبه أمامها في الريف لابد أن تكون شجرة عائلته من المجرمين و الملاعين و المجانين "[3] فهنا تبين علاقته الطبية و المتماسكة بينهما فهي تروي له قصص خارجة عن العائلة قصة الجار و الابن الذي قتل أباه دون مبالاة و دون ضمير حي بلا إحساس فصنفه ضمن شجرة المجرمين .

ذكر زيارته للأم في المستشفى " أربعة أسرة مريضة واحدة طريحة الفراش قرب سرير أمي"[4] رغم مرضها الشديد إلا أنها لم تنس ابنها و أرسلت الرسالة له لكي يعودها في المستشفى " هذه هي الآنسة الغالية التي كتبت لك الرسالة لكي تجيء "[5] . أراد أن يغير مزاجها الممل في المستشفى و ينسيها همها قليلا و مرضها فذكر لها نجاحاته في المدرسة "

---

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 97.

[2] الرواية، ص 99.

[3] الرواية، ص78 .

[4] الرواية، ،ص 81.

[5] الرواية، ص 81.

ذكرت لها نجاحي في هذه الشهادة الابتدائية و انقلعت فرحا ثم دمعت عيناها و سعلت، سعلت أيضا الغالية لابد أني ذكرتها بدراستها "[1] فرحت لابنها الذي خرج هذه البقعة السوداء المملوءة بالجهل و الظلم و الصعلكة فرحت حتى دمعت عيناها و اشتدها السعال سألته إن رأى أباه و هل فرح بنجاحه فلم يشأ أن يقلقها و يزيد همها هما آخر فلم يخبرها بما جرى معه فكذب بأنه فرح به و شجعه بذلك " هل رأيت أباك ؟ نعم و فرح بنجاحي في الدراسة، كنت أعرف أن أختي أرحيمو ستقص عليها كل ما فعله معي، لكن سيكون ذلك في يوم آخر"[2] .

كان تعبيره و نقل المشاهد لنا في هذه الصورة بالنسبة لوجه الأم الملائكي لها فذكر حين مماتها " لم أستمر يوما من حياتي كما استمررت هذا اليوم بموت أمي تموت كل أسرتي "[3]. هذا المشهد صور لنا أن الأم هي العمود الأساسي في البيت هي الشمعة التي تنير درب أبنائها و قد لخص تعبير في هذا المشهد هذا اليوم الذي يم يذق فيه مرا يوما إلا في يوم وفاتها " [.....] و أقسمنا حسب الشريعة الإسلامية، أخذت أختاي تتباكيان في صمت أمام العادلين في دارنا التي كنا نودعها لآخر مرة سألت جارنا عما يبكيانهما فقال:

علام يمكن أن تبكيا ؟ على ذكر الوالدين !

أخذت ألف درهم في قسمتي على الطيفور و مثلها في قسمة أخي و أعطيت لكل واحدة ألفا فجفت دموعها همست لجارنا إنها مسرحية أشخاص مهرجون منافقون، غادرت تطوان .... شجرة عائلتي قد تعفنت للأبد"[4] بعد وفاة الأم أصبح كل واحد منهم يريد حقه في البيت لم يشأ شكري أن يتكلم بهذا الموضوع لأن أمه كانت ترد أن يباع هذا البيت و يبقى

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 82.

[2] الرواية ص 82.

[3] الرواية ص 202.

[4] الرواية ص 203.

مملوءا بأسرتها و ترابط الأولاد مع بعضهم، لكن كل من الأولاد أصبح يريد حقه في البيت فباعوا البيت و قاموا يقسمون التركة أو الورثة على حسب الشريعة الإسلامية فأخذ كل منهم حقه و لازالت دموع الأختان تسيلان ففهم شكري الموضوع و زادهم فوق حقهم دراهم معدودة فجفت دموعهم هنا فهم شكري أن بيت أسرته قد تعفنت و أصبح كل واحد منهم يريد مصلحته فقط فمن البداية كان شكري يوضح الأمر و لكن الأم هي أساس كل شيء .

الأب :

لقد كانت الصورة المنقولة لنا في رواية محمد عن الأب صورة عن "مجرم" حيث وصفه بأبشع الصفات و هذا كان ناتج عن العداوة و الكراهية التي يحملها شكري اتجاه والده " هو لا يرضى أن يكون ابنه و أنا لا أرضى أن يكون أبي "[1] من قوة الكراهية و الحقد الذي بينهما لا يريد كل واحد منهما الآخر فالابن لا يرضى أن يكون له أب مثل هذا و الأب لا يرضى أن يكون له ابن مثل هذا فكان سبب هذه الكراهية و المعاملة و الحقد الذي في قلبه سبب معاملته والده معه حيث ذكر أكثر التفاصيل في روايته الخبز الحافي التي هي الجزء الأول له و الشطار مكملة للجزء الأول " كان أبي يضربني كثيرا أحيانا كان يعلقني من رجلي في فرع الشجرة و يضربني بحزامه العسكري" [2] فقد رسم لنا مشهدا من خلال هذه الصورة مأساوية معنفة من طرف الأب لابنه كما جعله يتمنى موته كل يوم و كل دقيقة يراه فيها " حين يموت أبي سأزور قبره لكي أبول عليه إن قبره لا يصلح إلا مرحاض "[3] حتى بعد وفاته لا يتأثر و لا يندم و يجعل في قلبه الرحمة بل كان حقده أكثر مما تصورنا مما جعله يقول أن بعد وفاة أبيه سيزوره لكي يحتقره في قبره و لن يدعو له بل يرمي فضلاته عليه لأن قبره لا يصلح أن يكون لشخص يترحم عليه و يدعو له بل شخص قبره مثل

[1] الشطار، محمد شكري،دار الساقي، الطبعة الرابعة 2000، ص 81.

[2] الخبز الحافي، محمد شكري، دار الساقي، الطبعة السادسة، ص 98-99 .

[3] الرواية ص 98 .

مرحاض و لن يشفى غليله اتجاه والده فكانت هذه الكراهية و هذا الحقد مع جميع أبنائه و زوجته فمعاملته مع الزوجة كانت أكثر عنفا " أبوك أحمق نحن الريفيين قساة على بعضنا البعض أكثر مما نحن قساة على غيرنا لقد أراد إحراقها، أختك أرحيمو هي التي استغاثت فأدركته يبعجها قبل أن يحرقها "[1] فضربه للأم كان أكثر تعنيفا لا يهمه إن ماتت المهم أنه يضرب و يعنف و لا يبالي للنتائج و لا حتى لأولاده كما كان شكري لا يحب الكلام معه و يجتنبه " لم نكن نتكلم و لكي أتحاشى رؤيته أجيء في حوالي منتصف الليل "[2] فأنه يوضح أكثر فأكثر العلاقة مع الأب و الابن لا يكلمه أبدا يتجاهله و كأن لا وجود لأب في حياته " و أبي إلى الفدان و في ذهنه حكايات جديدة ملفقة يحكيها عن شجاعته للمتقاعدين أو الهاربين مثله من حرب فرانكو،لكن حكاياته الكاذبة، لم يكن أبي في الواقع شجاعا حقيقيا إلا في حربه معنا "[3] لم تكن أي بطولات للأب في حياته فكانت جميع قصصه كاذبة لأصدقائه أو لبعض الجالسين يتباهى بها أمامهم فذكر شكري أنه كان شجاعا في أولاده و زوجته فقط كان يمارس عليهم أنواع العنف و الجرم فهو في الحقيقة سوى شخص كاذب " مجرم" بحق عائلته. كما أنه ذكر ضربه لأمه التي هي المسكينة الضعيفة التي لا حول و لا قوة لها " يضرب أمي حتى يدميها أو بزرق لها إحدى عينيها أو ذات يوم أعياه الضرب فرفع القدر الذي يغلي فيه محلول السكر الذي يضع فيه العسل ليبيعه في سبتة و لولا الجيران الذين استغاثت بهم لأفرغ المحتوى على رأسها "[4] كان لا يهمه أي شيء لا توجد أي شفقة في قلبه مما جعل أبنائه يحقدون عليه و لا يملكون أي حب اتجاهه، فلم تكن للأم أي حيلة بيدها إلا أن تستغيث من الجيران حتى يساعدونها و يكفونها من يده المتوحشة المجرمة وصل جرمه لدرجة أن يفرغ عليها محلول السكر الذي يصنعه فهذا المشهد في الرواية يصور لنا المعاناة

[1] الشطار،محمد شكري، دار الساقي، الطبعة الرابعة 2000، ص 78 .

[2] الرواية ص 98.

[3] الرواية ص 113 .

[4] الرواية ص 113.

الكبيرة التي عاشتها الأم معه ووحشيته الكبيرة اتجاه عائلته لم يكن للأبناء وهم صغار أي حيلة بيدهم لكن حين كبروا ردوا اعتبار أمهم المسكينة " عندما جئت أمسكت مدقة الهاون و هددته بتهشيم رأسه إن هو عاد إلى جنونه معها خرج إلى دار جارنا و انخرط في نوبة من البكاء و هو يردد المسخوط يهددني بالقتل يهددني بالهراس لو خنقته وهو صغير لتخلصت منه تذكرت كيف أنفجر دم أخي عبد القادر عندما لوى عنقه " [1]

ذكر محمد في هذه الصورة المأساوية مقتل أخيه عبد القادر الذب قتله أبيه و هو صغير فهذا أكبر دليل على عدم وجود نبض في قلبه و لا رحمة و لا شفقة حيث قال أنه مجرم فقد رسم له الصورة الحقيقية له فحين يتجرأ الأب إلى قتل ابنه لا حياة له فوق الأرض و لا تصلح عليه كلمة إنسان إلا أنه مجرم قاتل بلا ضمير و لا قلب له، فقد هدده شكري بالقتل إن رآه يضرب أمه مرة أخرى فخرج باكيا مظلوما بأن ابنه يود قتله و هذا مما زاده حقد و ذكره بمقتل أخيه الصغير حتى بعد نجاحه ابنه لم تكن له الرغبة فيه أو يهنئه " هل أنت ابن حدوعلال الشكري ؟

نعم

هل صحيح ستصبح مدرسا ؟

نعم

أعانك الله الناس يتمنون أن يكون لهم ابن مثلك و أبوك يستجهلك و يستهزون بك، إن أباك أحمق أعرف ذلك لقد ولد ليحقد على الجميع لا يحب حتى نفسه "[2] هل هذا يدل على أنه لا يحب أحد في الحياة و حتى نفسه " لم يفاجئني رسوبي في امتحان التخرج لقد أهملت

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 113-114 .

[2] الرواية ص ، 114.

عمدا كل مواد الدراسة لأقرأ الأدب لكن تعييني في طنجة عزاني جارنا المأمور في نيابة التعليم سيخبر أبي سيسر لأن رسوبي يؤكد ما كان ينعتني به من جهل "[1] . كما أن رسوبه كان يفرح والده ليتسم ولا يريد أن يراه متعلم أو في إطار من التعليم بل يبقى جاهلا حتى يبقى يسبه و يذكره بنفسه لكن شكري فعل العكس. لكن في آخر المطاف يظهر شكري عطفه على أبيه في كراهيته إلى طاعة " زرت أمي في باب التوت أعطيتها المساعدة الشهرية وقد أضفت لها مبلغا لتعطيه لأبي أعرف أنه سيبصق على ذلك المبلغ البسيط و يلعنني كعادته لكنه لن يرفضه أو يصدق به على متسول " [2] كان لا يحب فيه سوى جيبه رغم كل معاملة له و لأخوته و لأمه إلا أنه لم ينسى أباه و حن قلبه فهو يدل على إضافته للمبلغ لتعطيه للأب عن عاطفته و نوع من الطاعة له

هذا ما صورته رواية الشطار التي هي جزء الثاني المكمل للخبز الحافي خلال الشخصيات تناولت جانب خاص بها يمكن الشخصية التي أبدت الكراهية و الحقد و البغض بين الأب و الابن جعلته يكره كل الآباء حتى أنه كره فكرة الزواج لأنه كان يخاف أن يصير مثل أبيه في يوم ما لكن عاطفة الراوي تحولت في الأخير نوعا ما من الكراهية و الحقد إلى نوع من العطف .

الراوي :

صور لنا الراوي طبقة الصعاليك و الشطار و الفقراء في هذه الرواية التي أكمل فيها رواية الخبز الحافي و ذكر العديد من الميزات في الجفاء الأسري.

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 125 .

[2] الرواية ص، 125.

كما ركز على عبثه الزائد اتجاه العلم و حرصه على التعلم و هو كبير في السن " آسف لا أستطيع قبولك في هذه المدرسة من الأحسن أن تعود إلى طنجتك هناك يمكنك أن تكسب عيشك كما كنت تفعل لكني أفضل أن أدرس لقد كرهت ما كنت أعمله في طنجة "[1] يظهر الراوي حماسه الزائد في التعليم رغم عدم قبوله في المدرسة " سأحاول أن أتعلم جيدا في أقرب وقت " [2] لكنه أصر على الدراسة و أخبره بأنه كره حياته في المنشآت و الأعمال التي كان يقوم بها هناك ". كما أنه تناول قضايا الجنس و الدعارة في روايته و لم يخفي شيئا منها " شربنا و ذهبت إلى فندقها لابلات، اشتريت زجاجة مارتيني و ثلاث ليمومات و ليمونادا– الصودا غرفتها صغيرة في الفندق متواضع الليلة صاهدة، جلسنا بثيابنا الداخلية على حافة الفراش" [3] كما أن تعليمه يتخلل في هذه الرواية و ركز عليه أكثر من القضايا الأخرى يأتي بقضية ما لكنه يعود إلى تعليمه و ما جرى معه " صارت عند الكتابة هوسا في الحلم و اليقظة أتخيل نفسي أحيانا حرفا كبيرا أو قلما بئسا للحلم المكوس أحيانا لا أجد ثمن دفتر فألتقط الأوراق البيضاء المستعملة لأكتب فيها "[4] كان يعيش في عالم مهمش لم يعرف طعم الحياة لكن بعد دخوله المدرسة و تذوق العلم صار مهووسا بالقراءة و الكتابة ولم يكن يهمه شيء سوى أن يتعلم " بدأ يسكنني شيطان الأدب فصرت أهتم بقراءة الكتب الأدبية أكثر من اهتمامي بدروس علم النفس التربوي و التشريع المدرسي "[5] أصبحت ميولاته للأدب و القراءة و الكتابة أكثر فأكثر فأصبح يفكر في الكتابة من خلال قراءته لمجموعة في الكتب"قلت لنفسي: إذا كان الناس يحترمون من يكتب مثل هذه الأشياء فأنا أستطيع أن

[1] الشطار، محمد شكري، دار الساقي، الطبعة الرابعة 2000، ص 10.

[2] الرواية ص 11.

[3] الرواية ص 40.

[4] الرواية، ص35.

[5] الرواية ، ص 105.

أكتب مثلها أو أفضل منها"[1] ظن أن من يكتب فهو محترم من طرف الآخر، حتى وصل من سيرته هذه إلى المدرسة للقسم التحضيري " عينوني في مدرسة الحي الجديد للبنين و البنات أسندوا لي القسم التحضيري "[2]

فلم يكن يود الزواج لأسباب عديدة منها أنه كان يمارس الجنس مع نساء أخريات، فظن أن جميع النساء مثل بعضهم وصف في خواطره المرأة التي يود أن يعيش معها طيلة حياته " إن المرأة التي أعيش معها دائما إذ لم تجعلني أعرف عن كل النساء فليست هي المرأة التي ينبغي لي أن أعيش معها ينبغي لها أن تكون هي كل النساء و كل النساء ليسوا هي، ينبغي أن أميزها في الظلام حتى و إن .... لم أجدها بعد"[3] هكذا صنف امرأة في خاطرته عبارة عن ملاك لا يوجد فوق الأرض

ففي الخلاصة نقول بأن شكري رصد في روايته أو سيرته الذاتية هذه جميع أنواع قضايا التي عاشها في الحقيقة، لكنه ركز في هذه الرواية على تعليمه و منحة الدراسية و تدريسه أكثر من القضايا الأخرى كما بين لنا أنه وصل لدرجة كبيرة من الوعي في هذه الرواية .

[1] محمد شكري، الشطار دار الساقي، ط4 ، 2000، ص 106.

[2] الرواية ص 137 .

[3] الرواية ص 132.

خاتمة

خاتمة:

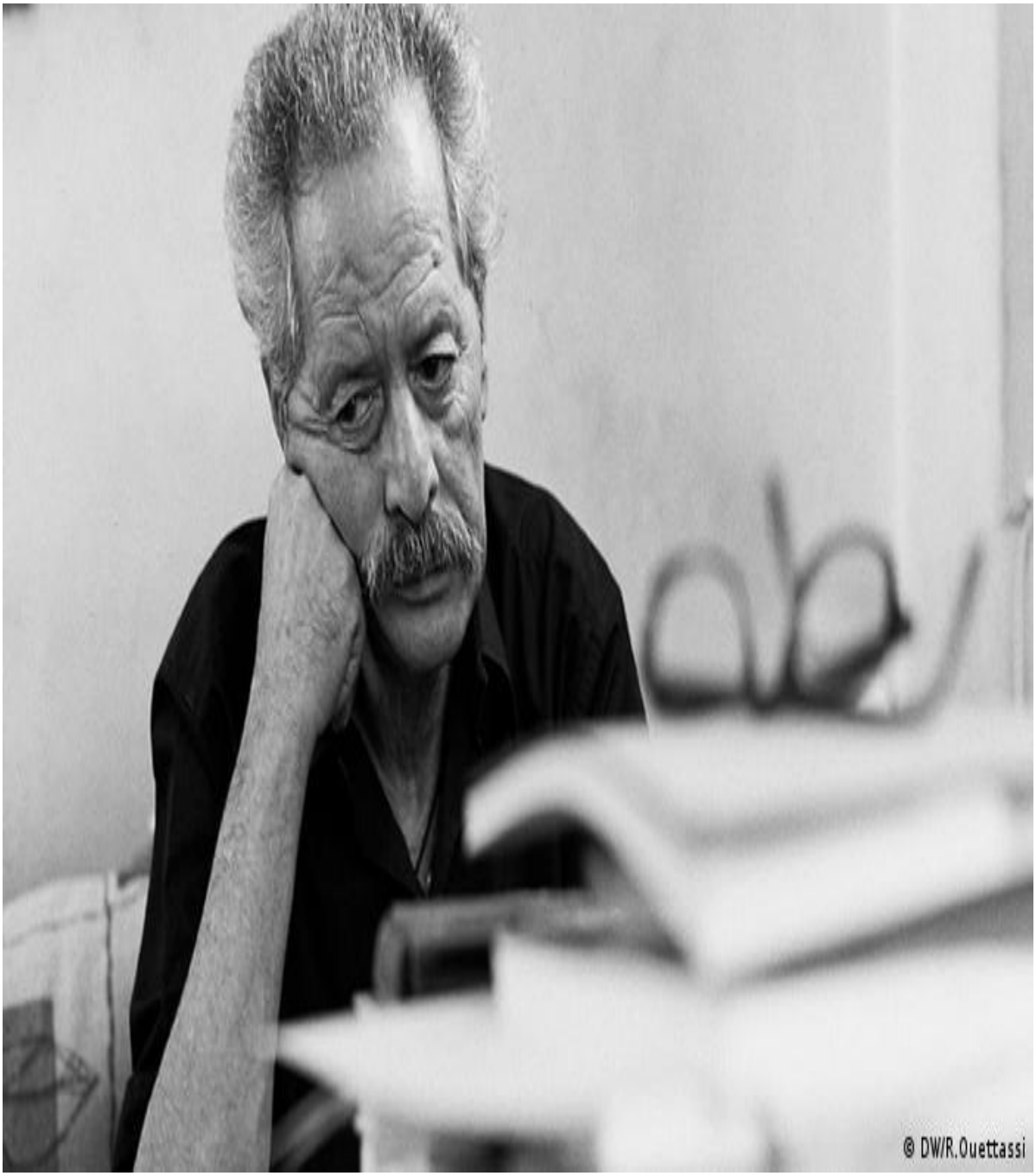
يعد هذا الجهد المبذول في هذا البحث العلمي المتعلق ب " تجليات الواقعية في الرواية المغربية المعاصرة رواية الشطار لمحمد شكري أنموذجا" الذي تعرفنا فيه على النص الروائي الواقعي للأدب العربي عامة و المغربي خاصة الذي تناول أهم قضايا الراهنة فيه و الرؤية المقدمة للواقع المغربي و نقله في صورة حقيقية دقيقة مستنقاة من رحم المجتمع .

بهذا نختم هذا العمل لنلخص أهم النتائج:

- ظهور الواقعية كمذهب جديد له تأثير على الرواية العربية و خاصة المغاربية
- الرواية الواقعية المغربية المعاصرة رواية حديثة امتازت بتصوير حياة الإنسان بمختلف أنواعه كما عبرت عن القضايا المختلفة النابعة عن تجارب حقيقية لكتاب عايشوا مرارة الواقع
- كما أن رواية الشطار التي قمنا بدراستنا دلت على واقع الكاتب و ارتباطه بواقعه و مجتمعه
- رواية "الشطار" لمحمد شكري رواية واقعية أحداثها من في واقع الاجتماعي احتوت على خصائص و عناصر الفن الواقعي و جسدت نضج الوعي لدى الأديب في الرواية

و هذا ما توصلت إليه في نتائج مهمة تخص هذه الدراسة التي نأمل أن تكزن بادرة ينهل منها الباحثين في هذا النوع في الدراسات المتعلقة بالواقعية في الرواية و أيضا ما يتعلق بالكاتب محمد شكري، فنرجو أن نكون قد وفقنا و لو بقدر قليل و الحمد لله على إتمام العمل رغم الصعوبات.

الملاحق


© DW/R.Ouettassi


محمد شكري
الشطار
رواية

نبذة عن الكاتب محمد شكري

محمد شكري كاتب مغربي ولد عام 1935 في منطقة آيت شيكر في إقليم الناظور شمال المغرب ، و عاش طفولته صعبة و قاسية في قريته ثم نزح مع أسرته الفقيرة إلى مدينة طنجة عام 1942 ، عما و هو دون العاشرة في مقهى ثم عمل حمالا و بائع جرائد وسجائر مهربة و ماسح أحذية ، و عاش في دروب طنجة حياة التشرد و الانحراف ، انتقلت أسرته إلى مدينة تطوان لكنه عاد وحده إلى طنجة

لم يتعلم محمد شكري القراءة و الكتابة إلا فب سن العشرين حيث قرر عام 1955 توديع عالم التشرد و التسكع و التهريب و دخول المدرسة في مدينة العرائش إلى أن تخرج ، اشتغل بعد تخرجه في سلك التعليم إلى أن حصل على تقاعد نسبي و تفرغ للكتابة ، كما عمل في المجال الإذاعي عبر برامج ثقافية كان يعدها و يقدمها في إذاعة البحر الأبيض المتوسط الدولية في طنجة

بدأت علاقته بالأدب و الكتابة بتأثير من الكتاب الأجانب الكثيرين الذين كانوا يختارون مدينة طنجة مستقرا لهم في تلك الفترة التاريخية و منهم : جان جنيه ، و بول لولز ، وتينيسي وليامز .

بدأ شكري رحته في عالم الكتابة عام 1966 بنثر قصته الأولى " العنف على الشاطئ " في مجلة الآداب اللبنانية ، و انظم لإتحاد كتاب المغرب في فبراير ، شباط 1973 توزع إنتاجه الأدبي بين الرواية و القصة و المسرحية و ترجمت كتاباته لمختلف لغات العالم ، و حولت روايته " الخبز الحافي " إلى عمل سينمائي من أعماله :" مجنون الورد " و " الخبز الحافي" 1982 و " السوق الداخلي " 1985 و مجموعة " الخيمة " القصيصة 1985 و مذكرات مع تينيسي ويليامز في طنجة .

أعلن وزير الثقافة المغربي في صيف 2002 محمد الأشعري ميلاد مؤسسة شكري للثقافة للحفاظ على تركة الأديب محمد شكري و جمعها في متحف يحمل أسمه ، لكن المؤسسة لم تفعل بالشكل المطلوب و بقيت شبه جامدة

توفي محمد شكري يوم 15 نوفمبر / تشرين الثاني 2003 بعد معاناة مع مرض السرطان ، و روي جثمانه الثرى في مقبرة " مارشان " بمدينة طنجة .

ملخص الرواية :

تدور أحداث رواية الشطار حول حياة طفل مراهق صغير كانت حياته مختلفة إلى حد كبير عن من هم في سنه ، فقد ترعرع في كنف أسرة فقيرة، تهاجر الأسرة إلى طنجة هربا من المجاعة ، فقد عاش حياة قاسية تحت قيادة أب متسلط يفوق الحياة قسوتها و الأم المغلوبة عن أمرها و الأخ الذي توفى من الضرب في مرحلة لاحقة ، فالأب الظالم الذي نشأهه في طنجة لم يمهله الوقت ليقوم تفكيره ، أو يحرث مراهقته بعين الرقيب ،فهو غارق في الشرود و الألم و الكره المرتاب لأبيه ، تلاحقه عقدة أو ديب وتعبقه الفائق بأمه و وثورته الجامحة ضد أبيه جزاء ضربه لها و قسوته معها ، حيث يتمنى الابن أن يموت أبوه مبكرا ، بل لا يذكر كم مرة قتله في الخيال ، ولم يبق له إلا أن يقتله في الواقع ، إذن هذه العلاقة غير السوية مع الأب القاتل كانت مفترق الطرق في رحلة الانحراف التي تبدأ بالاستغلال المادي و التسخير من خلال عثور الأب لأبنه عمل في مقهى شعبي في الحي الذي تقطن فيه أسرته ، يعمل الابن من السادسة صباحا حتى منتصف الليل ، وحين يقبض أجرة عمله الزهيدة كل شهر يأخذ الأب المال مكتفيا بالقول " الله يرضى عليك " يبدأ المراهق بشرب الخمر و تدخين الحشيش في الخفاء حتى يتقيأ و يمرض ، يهرب مرارا و تكرارا من قسوة الوالد و ضراوة الجوع ، تلمحه هنا و هناك بين أكوام المزابل يلتقط بقايا الطعام الفاسدة

و مع مرحلة البلوغ تبرز لدى المراهق لذة خفيفة تقوده إلى الخيال العميق و مراقبة أجساد النساء و الفتيات اللاتي يسترق إليهن كاسيات أو عاريات و بدهشة و خلسة من فوق الأشجار، حيث أن الهاجس الأول بالنسبة إلى المراهق في هذه البيئة الفقيرة و الجاهلة و المكبوتة هو الجنس ، إذ يشرب المراهق المسكر و يذهب إلى البحث عن لذات الجنس الأولى في المواخير لدى المومسات سواء مواطناته أو الأجنبيات ، بنمي عقدة الأم في داخله من خلال متابعة أمور النساء من حوله مهما كانت جنسية المرأة التي يصادفها أو

عقليتها أو ثقافتها ، عمل في شتى الأعمال و بقي أميا لا يعرف القراءة و الكتابة حتى سن العشرين إلى أن دخل مدرسة المعلمين ، ووضع بتعلمه و وظيفته فيما بعد جدارا منيعا بينه و بين الاحتقار الاجتماعي و البؤس معا ، قرر أن يصبح كاتبا بعد احترافا الكتابة بعد أن التقى بشاعر معروف في المغرب ، وهو محمد الصباغ كانت سهرته تطغى على أوصافه ، فقرر بعد محادثته معه و تشجيعه له ، بأن يمرن نفسه أن يكون كاتبا ، حتى يحظى بمثل الاهتمام الذي يحتفي به الناس بالصباغ .

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. محمد شكري ، الشطار ، دار ساقي ، بيروت لبنان ط4، 2000 .

2. محمد شكري ، الخبز الحافي ، دار الساقي ، ط6، 1982.

المراجع:

1.أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط05،دار الرائد للكتاب، الجزائر، سنة 2007.

2.بلحيا الطاهر، الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة، جذور الشرد العربي، ط06، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، (د.ت).

3.جورج لو كاش ، دراسات في الواقعية ، ترجمة نايف بلوز ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط3 1985 .

4.حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية الحديثة في مصر، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002.

5.الحمداني حميد، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.

6.د. محسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية ،دط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005 .

7.د..محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائري، 1983.

8.س بيتروف، الواقعية النقدية في الأدب تر: يوسف شوكت، منشورات الهيئة العامة للكاتب السورية، دمشق، ط1، 2012.

9.عباس خضر، الواقعية في الأدب (د. ط) وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، بغداد، 1967.

10. عبد البديع عبد الله، الرواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، ط1، مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا، القاهرة، 1990.

11. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية تحولات اللغة و الخطاب ،ط1 ،شركة النشر والتوزيع المدارس، دار البيضاء، 2000.

12. عبد الرحيم العلام، محمد قاسمي، الرواية المغربية المكتوبة بالعربية، الحصيلة والمسار، وزارة الثقافة المملكة المغربية، 2003.

13. عبد الغني حسني، الرواية الغربية (د.ت)، (د.ط).

14. فيصل دراج ، الواقع و المثال ، دار الفكر الجديد ، بيروت ، ط 1 . 1999 .

15. الواقعية في الرواية بين الثقافة و الحضارة ، الرواية المغاربية و الفهم القومي ، يونس فقيه ، دار الفرابي ، بيروت لبنان.

16. الواقعية في الرواية بين الثقافة و الحضارة ، الرواية المغاربية و الفهم القومي ، د يونس الفقيه ، دار الفرابي ، بيروت لبنان.

المعاجم:

1.جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط01، دار العلم للملايين، 1979م.

2.لطفي زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية .

المجلات:

1. حسن لمين، 24-09-2021،الرواية في الادب المغربي ظروف النشأة ،مجلة الاتحاد الاشتراكي (الجزائر د،ص).

2. طارق غرماوي، <<الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة>>، الخطاب، المجلد 13، العدد 1، المغرب، (د.س.ن).

3. طيبي بوعزة، علي كبريت، مجلة البدر، المجلد 09، العدد 07 سنة، جامعة بشار 2017.

4. محمد عزيز المصباح، 25 يوليو 2018، 11:46، نشأة الرواية المغربية وتطورها، بيان اليوم، العدد 6464.

المذكرات:

1. بن هاشم عبد الله ، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب الجزائري ، تجليات الواقعية في الأدب الجزائري، رواية دار الكبيرة لمحمد ديب النموذج 2021-2022.

الفهرس

الفهرس:

شكر
إهداء
مقدمة.....أ
مدخل.....2
الفصل الأول: الرواية المغربية.....6
المبحث الأول: نشأة الرواية في المغرب.....7
المبحث الثاني: تجليات الواقعية في الرواية المغاربية.....16
المبحث الثالث: ظهور الواقعية في الرواية العربية.....24
الفصل الثاني:.....34
تجليات الواقعية في رواية "الشطار" لمحمد شكري أنموذجا.....34
المبحث الأول : الواقع الاجتماعي و الثقافي و الديني في الرواية.....35
المبحث الثاني: الواقع الاقتصادي والسياسي.....47
المبحث الثالث :صورة الشخصيات في رواية " الشطار".....54
الملاحق.....66
قائمة المصادر والمراجع.....74
الفهرس.....78
ملخص.....78

ملخص:

تعتبر الواقعية حركة في الادب ظهرت كنوع جديد في الكتابة الادبية حيث يقوم المؤلف بتمثيل الواقع ونقله بصورة حقيقة تهدف اعمالها بتجسيد الحقيقة وتقديمها بصورة دقيقة من الواقع للقارئ اهتمت بالنزول الى الهامش الاجتماعي فهي بمثابة مراة عاكسة للواقع فالرواية المغربية واكبت هذا الفن واستلهمت قضاياه الاجتماعية وقدمت لنا رؤية عميقة حقيقية في نقل الحقائق الاجتماعية وهذا ماتجلى في رواية الشطارللكاتب "محمد شكري" كون هذا الاخير ابدع في نقل صورة المجتمع المغربي وقدم لنا مجموعة من المشاكل التي يعانيها الانسان المغربي (الهامشي)من فقر وظلم وجوع وامية وبطالة محاولا ايجاد حلول لذلك والتغيير في المجتمع .

summary:

Realism is a movement in literature that emerged as a new genre in literary writing, where the author represents reality and conveys it in a true way. Its works aim at embodying the truth and presenting it in an accurate way from reality to the reader. A true profound in the transmission of social realities, and this is evident in the novel Al-Shattar by the writer "Mohamed Shukri", the fact that the latter excelled in conveying the image of Moroccan society and presented to us a set of problems that the Moroccan (marginal) suffers from poverty, injustice, hunger, illiteracy and unemployment, trying to find solutions to that and change in society.